جامعة – عمار ثليجي – الأغواط

كلية الآداب واللغات

قسم: اللغة والأداب العربي

مذكرة ماستر

الطالبة بن الغويني عائشة

ميدان: اللغة والأدب العربي

شعبة: الدراسات الأدبية

تخصص: أدب عربي قديم

رحلة الظعائن في شعر ذي الرمة نموذجا

اللقب والإسم	الدرجة العلمية	الصفة
ابن السايح لخضر	أستاذ محاضر .أ	رئيسا
شعيب إبراهيم	أستاذ محاضر .أ	مشرفا ومقررا
بن شاعة جلول	أستاذ مساعد .أ	مناقشا

السنة الجامعية : 2018/2017

إ ه ـــــــــــد ا ء

يا من أحمل اسمك بكل فخر يا من إفتقتك منذ الصغر يامن أرتعش لذكرك يا من أودعتني لله أهديك هذا البحث أبي رحمة الله عليك

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و الحنان و التفاني إلى بسمة الحياة و سر الوجود الى من كان دعائها سر نجاحي " أمي الحبيبة"

إلى الإخوة و الاخوات الى من تحلوا بالإخاء و تميزوا بالوفاء و العطاء الى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت و برفقتهم في دروب الحياة الحلوة و الحزينة سرت الى من كانوا معي فى طريق النجاح و الخير، إلى من عرفت كيف أجدهم و علموني أن لا أضيعهم أصدقائي

و إلى قسم الأدب العربي القديم

بن الغويني عائشة

شـــكر و عرفان

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذتنا بكلية الآداب و اللغات

جامعة الأغواط.

كما نعترف بالجميل والشكر إلى الدكتور الفاضل

"ابراهيم شعيب" الذي أشرف على إنجاز هذا البحث بكل تفاني وإتقان.

مع تشكراتنا لكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

مقدمـــــة

تعد الرحلة –فعلا– ملازما للإنسان منذ أن وجد على الأرض فلقد كان في إرتحال دائم وسعي متواصل للكشف عن كل ما هو جديد،و سبر غور كل ما هو بعيد وتنوعت الرحلة وغاياتها بحسب الظروف والاعراض والأهداف التي ترجى من ورائها.

وبدأت الرحلة عند العرب ثم إتسعت مع مرور الزمن وإزدادت بحضور الإسلام وإنتشاره وإمتداد رقعة مملكته نتيجة للفتوحات الإسلامية وإعتناق الكثير من الناس في المماليك المتعددة له فإنفتحت الرحلة وامتد نشاطها في العوالم المحيطة، والقريبة التي لا تتجاوز حدود مملكتها ،البعيدة التي تجاوزتها لتعود محملة بالخبرات والتجارب والإنطباعات والرؤى والمعارف المتنوعة والمعلومات الشاملة والمتعددة التي إتصلت بمعظم نواحي الحياة و بكثير من العلوم ، إلى جانب ذلك كانت الرحلة النافذة العريضة التي يطل من خلالها الرحالة على الآخر المغاير والمختلف والبعيد وذلك في ظل إعتبار الرحلة وسيلة إحتكاك بين الثقافات المختلفة وأداة تفاعل وصلة وصل مع الأصقاع البعيدة عن الدولة.

ونحن اليوم نتكلم الظعائن في القديم وعن الظعائن في العصر الأموي عند الشاعر ذي الرمة، فالظعائن كانت عند الشعراء القدماء كإمرئ القيس وزهير إبن إبي سلمى إذ كانوا يتكلمون عن المحبوبة وهي راكبة في هودجها ،فيذكر؟ محاسنها، وجاء في العصر الأموي ذي الرمة فتكلم عن الظعينة، لكنه ليس الوحيد الذي تكلم عليها بل أخذ من الشعراء القدماء وهو مقلد لهم وهو شاعر الحب والصحراء لإنه بدوي الأصل يتكلم عن طبيعة الصحراء ،ويصف لنا مناظر الرحيل ، ويذكر أسماء الأماكن التي مر بها و يأخذ الحديث الطللي فيرسم له لوحات رائعة تنبض بالحياة وتفيض بالمشاعر الصادقة والحنين إلى الحبيبة الراحلة وعواطف الحب لها والوفاء للذكريات التي مرت ضمن لوحات تجسد فيها صور الصحراء وما يكمن في أعماقها من أسرار سحر وجمال مكاني ويبدو الشاعر ضعيف الإحتمال لمواقف الوداع الذي يغمره الحزن والألم والفراق.

سبب إختيار الموضوع: لإني أحب الشعر العربي القديم وخاصة شعر ذي الرمة.

أهداف الموضوع: من أهداف هذا الموضوع إثراء المكتبة الجامعية للتوسع في دراسة شعر ذي الرمة وخاصة صورة الظعائن.

وقد واجهت بعض الصعوبات أثناء هذا البحث ومنها وعورة السير في تتبع تفاصيل المكان في شعر ذي الرمة من خلال التداخل الذي يشوبه بالإضافة إلى أن شعر ذي الرمة يبدو للناظر فيه وكأنه شعر جاهلي ويحتاج للمتأمل فيه إلى قاموس أو معجم لغوي لتوضيح الكلمات الغامضة.

شعر ذي الرمة من خلال سميتين بارزتين: جاهلي وآخر إسلامي جديد يتأثر بالدعوة الإسلامية الأمر الذي جعل شعره يقوم في التراكيب والغرابة في الألفاظ والتمييز في المعاني.

ولكي يسهل العمل عليا في البحث أقبلت على الديوان أقرأه بيت بيتا وأشرحه مستعينة بالمعاجم كلسان العرب وغيره واهم المصادر التي إعتمدت عليها ديوان شعر ذي الرمة وذي الرمة شاعر الحب والصحراء.

كيف كانت الرحلة في العصر الجاهلي؟

وهل تمثلت في رحلة شعر ذي الرمة؟

وقد قسمت بحثي إلى مدخل تكلمت فيه عن تعريف الرحلة لغة وإصطلاحا وجذور الرحلة والرحلة في العصر الجاهلي تناولت في الفصل الأول: تعريف الظعينة وحياة ذي الرمة، وقصته مع مية وقصته مع الخرقاء وصف الهودج والأطلال ومناظر الرحيل والإبل وحيوان الصحراء ،المكان في شعر ذي الرمة نموذجا.

أما الفصل الثاني تناولت فيه الصورة الفنية والبيانية في التشبيه والكناية والصورة الرمزية والسردية وإيقاف الحذف والإطناب وإيقاع الخبر والإنشاء وأخيرا التصريع.

وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي

المدخل

1- ماهية الرحلة

أ- تعريف الرحلة لغة:

لقد خلق الله الإنسان محبا للحركة والتنقل فلا غرابة أن يجسد الرحلة على أرض الواقع أول من خلق على وجه الأرض من البشر، من خلال تلك الرحلة الرمز رحلة أدم وحواء يوم أن وسوس لهما الشيطان وأخرجهما مما كانا فيه فإنتقلا بأمر من الله من رياض الجنة[1]، وبساتينها إلى الأرض بخيرها وشرها الأرض التي كتب على بني آدم أن يعيشوا فيها ويسعو إلى إكتشافها، ويعملوا على عمارتها والتعرف على الآخر فيها وعليه، فليس عجيبا أن تكون الرحلة من أبرز ما يميز البشر فهي حافزة بشكل أو بآخر في الضمير الجمعي للإنسان وأخذت كلمة رحلة حيز كبير في حياة الإنسان كلها ووفرة في ثقافته قديما وحديثا يستوي في ذلك الأعجمي والعربي وكلمة رحل في صورها المميز في معاجم العرب" بإعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع ونابعة من واقع البيئة العربية[2]. التي فرضتها بصيغتها على العربي في الغالب خاصة البدوي أن يكون دائما الإنتقال يعيش حياة الحل والترحال.

تماشيا مع طبيعة البيئة التي تتعايش معها لقد إرتبطت الرحلة عند العرب في القديم بأعز ما يملكون أعني بذلك الخيل والجمال التي كانت تلعب الدور الأكبر في حياتهم فهي سندهم في حلهم ترحالهم منها ملبسهم و منها مأكلهم و قد سخرها الله لهم لتحمل أثقالهم.

هذا يعني أن الرحلة حاضرة معهم راسخة في أذهانهم لأنها لا تفارقهم على مدى اليوم بأكمله تتجلى عندهم من خلال الخطاب الشعري ومن خلال الفعل ، تنقلا، ومن خلال الناقة والجواد وسيلة،و المعنى اللغوي للكلمة **في لغة العرب منها تقف عليه أشهر معاجم لسان العرب: رحل الرجل**:مركب البعير و الناقة وجمعه أرحل و رحال.

1 – إسماعيل إبن كثير القرشي، قصص الأنبياء، ت ح أحمد إبراهيم زهرة،دار الكتاب،بيروت،لبنان،د ط 2006، ص38

2 – ناصر عبد الرزاق الموافي :الرحلة في الأدب العربي في نهاية القرن الرابع

أما الرحالة بالضم والكسر فهي أكبر من السرج وتغشي بالجلود وتكون للخيل والنجائب من الإبل و إرتحلت، البعير إذا ركبته. و يقول إبن سيده ورحل البعير يرحله رحلا رحلة شد عليه أداته، وفي الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن فأبطأ سجوده فلما فرغ سئل عنه فقال إن إبني إرتحلين ونحر أن أعجبه[1].

لقد لعبت الراحلة حصانا كبير كانت أوبعيرا حجرا كانت أو ناقة دور كبر في حياة العربي الذي بهاإهتم منذ القدم و إعتز بها إلى الحد الذي ذابت كبحها فتفنن في وصفها و عظم من شأنها فيما أبدعته قريحته من شعر تبوأ فيه مكانة خاصة فإعتبرت بذلك من المواضيع المهمة البارزة

2- تعريف الرحلة اصطلاحا:

إن وجود الإنسان على هذا الأرض يفرض عليه أن يكون دائم الحركة كثير التنقل و إذ لاقى في ذلك الجهد والعناء، و كما نجد الألام والشقاء فتلك طبيعة حياة البشر ومتطلبات الحياة والرحلة كما تمت الإشارة إليه آنفا .هي بكل بساطة قطع مسافة معينة بين نقطتين في فترة زمنية محددة و غرض محدد،فإن للرحلة فؤاد متعددة فهي تساعد الرحالة على بنيان شخصيته وتدعيم تجاربه وتوسيع خبراته في الحياة، وقد إعتبرها الكثيرون[2]مصدر الحياة من مصادر زيادة الخبرات في الحياة يلجأون إليها من أجل تنمية قدراتهم الذاتية على مواجهة الحياة في مختلف ظروف الرحلة إذا هي مدرسة مفتوحة متنوعة العلوم والمعارف تضمن للإنسان مختلف التجارب بحكم تعلمه من الغير من خلال الإختلاط و التفاعل الإيجابي مع الآخر[3].

والسفر عند "الغزالي" صاحب الإحياء، نوع الحركة و المخالطة ،وهو في الوقت ذاته وسيلة إلى الخلاص من مهروب عنه أو الوصول الى مطلوب و مرغوب فيه ،والغزالي في معرض حديثه عن السفر

1 – إبن منظور لسان العرب حققه عبد الله علي الكبير،دار المعارف القاهرة المجلد 3 ص 1608

2 – عبد الرحمان المودن عبد لرحيم بنحادة، السفر في العالم العربي الإسلامي سلسلة ندوات ومناظرات، منشورات كلية الأداب والعلوم الإنسانية بالرباط مطبعة النجادة الجديد، الطبعة الأولى 2003 ص 11

3 – أبو حامد محمد بن محمدالغزالي، إحياء علوم الدين ج 2 الكتاب 7 كتاب

فرق بين نوعين فالسفر عنده سفرات سفر تظاهر البدن عن المستقر والوطن إلى الصحاري والفلوات وسفر يسر القلب عن أسفل السافلين إلى ملكوت السماوات والأرض وأشرف السفر ين الباطن[1].

نستخلص أن السفر و الرحلة الجوهر فيهما هو الحركة والإنتقال وهذا هو المعنى المذكور في ثنايا المعاجم والمؤلفات العربية وهذا المعنى في الواقع لا يعنينا الابالقدر الذي إحتجناه للتوضيح لأن هذه الرحلة لايمكن أن تعدو لا تحصى بإعتبارها تدل على فعل حركة وإنتقال .

2- جذور الرحلة:

لقد فرضت طبيعة الحياة ومتطلباتها على الإنسان أن يعيش حياة قوامها الحركة والإنتقال وعمادها السفر والإرتحال، فقد قضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن لا يجمع الخيرات والمنافع في أرض واحدة أوعند قوم بعينهم، بل جعلها متفرقة على الأجناس حتى يحتاج هؤلاء فيضطرون للتواصل والتعارف و تبادل المنافع، ولن يأتى لهم ذلك إلا من خلال الإنتقال والسفر الذي أفاد البشر و طور حياتهم وعدد مكاسبهم و نمي معارفهم ووسع ثقافتهم ونوع تجاربهم ،كذلك فعل مازال إلى اليوم ومنذأن وجد هذا الإنسان على وجه هذه الأرض وإلى اليوم لم يتوقف يوما عن الحركة والتنقل من مكان إلى مكان بحثا عن مصدر عيش لحياة أفضل، أو هربا من خطر طبيعي أو بشري أو خوفا من مجهول حقيقي أو وهمي. إن أول رحلة قام بها الإنسان هي تلك الرحلة التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله تعالى: بسم الله الرحمان الرحيم.

"وقلنا يَا آدَمِ أُسِّكُنَّ أَنْتَ وَ زَوَّجَكَ الْجَنَّةُ وكلامنها رَغْدَاحَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقَرُّبَا هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَتَكَ وُّنَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلِهِمَاالشَّيْطَانَ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضَكُمْ لِبَعْضِعَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقِرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينَ فَتَلَقَّى آدَمُ مَنْ رَبِّهِكَلَمَّاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، قُلْنَا إ

1 – أبو حامد محمد بن محمدالغزالي، إحياء علوم الدين ج 2 الكتاب 7كتاب

هبطوا مِنْهَا جَمِيعًافَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مَنِّيٌّ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْيَحْزُنُونَ مِنَ السَّمَا ءِ."[1]

إنها رحلة آدم و حواء الرحلة التي كانت أمر أختيار، كان سببها الخطيئة والهدف منها التكفير، فهي إذا رحلة غير عادية لكنها رحلة خالدة بخلود القرآن الكريم لم يأت بعرض قصها أو رواية أحدثها و إنما جاء لهدف رباني لا يخرج عن اهداف القصة وضرب المثل في القرآن الكريم وتلك الاهداف إنما تأتي لتبين العقيدة وتقوية الإيمان و أخذ العبرة.

أ- جذور الرحلة في التراث العربي:

طبع العرب على الحركة والإنتقال فإهتموا بالسفر ومارسوا الإرتحال برا و بحرا مجبرين أو مختارين سواء داخل الجزيرة العربية موطنهم الأصلي أو منها إلى أواطن غيرهم ممن تواصلوا معهم عن طريق التجارة تارة والحروب تارة أخرى يشهد على ذلك رحلاتهم التي إشتهروا بها عبر مختلف فترات تاريخهم سواء قبل بزوغ فجر الإسلام أو بعده والتاريخ يشهد أنه كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة مع العراق والشام واليمن وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصا، نجدها في قصائد الشعر[2]، كما نجد في القرآن الكريم روى بعض أحداثها من رحلة الشتاء والصيف.

لقوله تعالى:" لإِئلاف فِي قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رُبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمِنْهُمْ مِنْ خَوْفٍ [3]"

هذه رحلة حقيقية محددة زمانيا ومكانا بإعتبارها رحلة موسمية في إتجاهني محدودين إلى اليمن جنوبا في الشتاء، وإلى الشام شمالا في الصيف وقد كانت رحلتين تجاريتين بالدرجة الأولى و لحكمة

1 - سور البقرة الآيات 34-35-36-37

2 - أدب الرحلة في التراث العربي- فؤاد فنديل مكتبة الدار العربية للكتاب الجزء السابع مدينة نصر القاهرة الطبعة الأولى والطبعة 2 ص 26/25

3 - سورة قريش وهي سورة مكية الأية 4

أرادها الله تعالى ربط بينها وبين بيته الحرام ما وفر لقريش الأمن والمال إستجابة لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام " رب إجْعل هَذَا بَلَدَا آمنَا وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ "[1]

وبذلك تحقق للقريشين الرزق الذي أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين وبلادهم قفرة وهم طامعون هانئون من فضل الله و آمنهم الخوف سواء في عقر دارهم بجوار بيت الله أم في أسفارهم أو ترحالهم في رعاية حرمة البيت التي فرضها الله وإن هذه الرحلة تدل على تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان[2].

كما أن سفر في التقاليد الإسلامية أدابًا يلتزم بها المسافر من أول نهوضه إلى رجوعه فعند العزم على السفر لابد للمسافر من رده المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة ولا يأخذ إلا الحلال الطيب ولابد من طيب الكلام وإظهار مكارم الأخلاق[3].

كما أن القرآن الكريم حفل بالحديث عن رحلات السابقين من أنبياء ومرسلين وأولياء صالحين وهذا يعتبر مظهرا من مظاهر إهتمام الإسلام بالسفر والرحلة.

و نذكر بعض الرحلات من القرآن:

رحلة سيدنا موسى عليه السلام مع سيدنا الخضر لقوله تعالى:" **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آَتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آَثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (67) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (68) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا**

1 – سور البقرة الآية 126

2 – سيد قطب المرجع السابق ج 6 ص 3983/3982

1– أبو حامد محمد بن محمد الغزالي إحياء علوم الدين الجزء 2 ص 181

أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (69) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (70) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا "[1]

لقد وجد العربي الذي إعتنق الإسلام نفسه مأمورا بالسفر و الإرتحال بأمر رباني فيه الكثير من الإغراء والترغيب والتشويق ما يدعوه إلى الإستجابة و الإقبال على وبأخلص النيات،و بالأمر هنا لا يتعلق .و نقول أن الرحلة كانت في القديم منذ أن خلق الله آدم و حواء وإختلف بواعث الرحالة فمنهم من كان يساق بحثا عن الرزق أو لتحصيل العلم و لإكتساب من الخبرات أو الترفيه بغية التعرف على البلدان المجاورة أو البعيدة أو لإكتساب المزيد من العزة عند الأهل أو الإستشفاء في حالة المرض، أو الذهاب إلى الحج.

ب- الرحلة في العصر الجاهلي:

ورحلة الظعائن كانت موجودة في العصر الجاهلي نقول إن المرأة هي الركيزة الأساسية في معظم الشعر الجاهلي، سواء قصد الشاعر المرأة لقصائد مستقلة، أم رمزت عزله بها من خلال مشاهد عديدة، منها الطلل والإرتحال الظعائن وغيرها من المشاهد.

-كما نذكر أن أحد الشعراء الذين ظهروا بشعرهم في الحقبة الأولى لنشأة الشعر الجاهلي عبيد ابن الأبرص، فقد مارس الشاعر عمله فنيا من غير تكلف أو تصنع، ومن غير عناء وجهد وعبر به تعبيرا مباشرا ينقل فيه إحساسه كما يحس به، يصور مشاعره كما يشعر بها، ويرسل العبارات كما تخطر على ذهنه وهو يعبر عن المرحلة التي سبقت مرحلة النضج الطبيعي للقصيدة العربية التي أهم من يمثلها إمرىء القيس، ولم يكن عبيد بن الأبرص المتفرد في وصف الظعائن وتشبيهها بالسفينة، بل كان

1 - سورة الكهف، الآية 60-69

أحد امراء الشعر الجاهلي الذين تصدروا هذه الظعائن وقلدوها في أشعارهم حتى إحتدى به من الشعراء من الأجيال اللاحقة له[1].

ومن ثم قد سعيت الى دراسة هذه الظاهرة لدى أبرز من مثلها، وبمنهج فني يلتمس مناطق الابداع في النص، للبحث عن مكامن النص، وقد تجيب الدراسة عن الآلية التي يتأسس بها البناء الفني للقصيدة في العصر الجاهلي، و مدى تثبيت الشعراء بهذا العرف الفني الذي يشير بدلالته عن حضارة و فكر الأمة العربية قبل مجيئ الاسلام لها.

كما ترد صورة الظعينة كما هي معتاد في مقدمة القصيدة، التي بناها الشاعر الوزن الشعري الخليلي القديم، بقافية بدأها الشاعر بالغزل والنسيب، بمعاني تتركز على فراق الأحبة، لينتقل الى وصف فرسه، حتى تتعدى الموضوعات وفق بنية موضوعية لتنتهي الى الفخر بشجاعته في الحروب التي خاضها.

كما في طبيعة المتن الشعري الجاهلي يستلهم الشاعر أفكاره من واقع حياته بطابعها البدوي، فيتحدث عن الظعن و الرحيل في مقدمة القصيدة، مشيرا فيه إلى الشكوى بالبعد عن الحبيب وصدوده عنها، وهو بذلك محملا نصا بسيل من مظاهر الشك والحيرة والقلق، حتى صارت بنيته المقدمة تحمل في طياتها كثيرا من الاشارات ذات الدلالة النفسية القلقة، التي تحتم على الشاعر أن يقولها: يقول عبيد بن الأبرص في تشبيه الظعينة بالسفينة (البحر الطويل):

تَأْمُلُ خَلِيلِيُّ هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ... يَمَانِيَّةٍ قَدْ تغتدِي وَ تَرَوُّحُ
كَعَوْمِ السَّفِينَةِ فِي غَوَارِبِ لُجَّةٍ... تَكْفِتُهَا فِي مَاءِ دِجْلَةِ رِيحِ
جَوَانِبَهَا تَغْشَّي المتألف أَشْرَقَتْ... عَلَيْهُنَّ صَهُبَ مَنْ يَهُودِ جُنُوحِ

1 عبد الحميد محمد عامر، المكون الحسي في الصورة الشعرية القديمة تشبيه الظعائن بالسفينة دلالته لدى الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص، قرآءة نصية ، مجلة كلية التربية، جامعة مصراتة ، ليبيا، المجلد الأول ، العدد: الخامس، يونيو 2016م، ص51.

و من ثم فالشاعر يلجأ الى نقل تجربته بأسلوب التشبيه، بعد أن افتتحها برحيل المحبوبة، فرسم صورة الرحيل وعلاقته بتلك الرحلة التي أخذت منه اهتماما في مقدمة قصيدته، فيصدر بالحديث عن صاحبته التي ابتعدت عنه وكيف تركته جريح الفؤاد عليلا، فالظعائن أخذت في الرحيل وحالته صارت الى البكاء و انهمار الدموع، وهما المثير الذي يرتقي به الى أن يعلل عن حزن بهذا الفراق وهو لم يستطع رؤية منظر الرحيل ليطلب من صاحبه أن يراقب له، وينقل له حالة الظعائن وأين صارت.[1]

كما نجد الشاعر ذي الرمة مقلدا رحلة الظعائن لإنه جاء في العصر الأموي أي أخذ من شعراء القدامى كإمرئ القيس وزهير بن أبي سلمى الذين تكلموا عن الظعائن لأن الرحلة منشأها قديم منذ أن وجد الانسان على الأرض .

1- عبد الحميد محمد عامر، المرجع السابق، ص52.

الفصل الأول

رحلة الظعائن في شعر ذي الرمة

1- تعريف الظعينة:

ظعن: ظعن يظعن وظعنا التحريك وظعونا ذهب وسار أي الترحال.

والظعن: سير البادية لنجعة وحضور ماء أو طلب مربع اوتحول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد وقد يقال كل شخص خرج لسفر حج أو غزو أو مسير من مدينة إلى مدينة.

ظاعن: وهو الخافض ويقال: لكل أظعن أنت أم مقيم؟

والظعنة: السفرة القصيرة

والظعينة: الجمل يظعن عليه والظعينة: الهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن.

والظعينة: المرأة في الهودج سميت به على حد تسمية الشيء بإسم الشيء بقربه وقيل المراة ظعينة لإنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة ولا تسمى ظعيتنه إلا وهي في هودج .

والجمع ظعائن و ظعن وأظعنان و ظعنات الأخيرتان جمع الجمع قال بشر بن أبي حازم:

هُمْ ظَعْنَات يَهْتَدِي بِرَبِّهِ ...كَمَا يَسْتَقِلِ الطَّائِرُ الْمُتَّكِلِيُّ
وَقِيلَ كُلُّ بَعيرٍ يَوْطَّا لِلنِّسَاءِ فَهُوَ ظعينه... وَ إِنَّهَا سَمَّيْتُ طعَائِن
لِأَنَّهَا يَكُنْ فِي الْهَوْدَجِ يُقَالُ هِي ظعينته... وَزَوْجَهُ وفعيدته عُرْسَهُ

وقال الليث: الظعينة الجمل الذي يكب وتسمى المرأة[1]

ظغيته: لإنها تركبه وقال أبو زيد و يقال لحصول ولا ظعن إلا للإبل التي عليها الهوادج كان فيها نساء أو لم تكن.

[1] لسان العرب لإبن منظور- د. خالد رشيد القاضي، الجزء الثاني، ط1، 2008، ص241.

والظعينة[1] : المرأة في الهودج وإن لم تكنفيه فليس بظعينة.

قال إبن الأنباري الأمل في الظعينة المراة تكون في هودجها ثم كثر ذلك حتى سموا زوجة الرجل ظعينته وقال غيره أكثر ما يقال الظعتية للمراة الراكبة وأنشد قوله:

تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ لَمِّيَّةِ أَمْثَالِ النَّخِيلِ الْمُخَارِقِ

قال شبة الجمال عليها هوادج النساء بالنخيل يظعن

والظعن: النساء واحدتها ظعينته قال واحل الظعنية: الرحالة التي يرحل ويظعن عليها أي يسار وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم قيل للهودج بلا إمرأة و للمرأة بلا هودج ظعين وفي الحديث أنه أعطى حليمة السعدية بعير موقعا للظعينة أي الهودج ومنه حديثا "سعيد بن جيير" ليس في حمل ظعينته صدقة إن روى بالإضافة الظعينة المرأة وإن روي بالتنوين فهو الجمل الذي يظعن عليه و التاء فيه مبالغة.

وظعنت: المرأة البعير– ركبته وهذا بعير تظعنه المرأة التي تركبه في سفرها وفي يوم ظعنها والظعون من الإبل الذي تركبه المرأة خاصة وقيل هو الذي يعتمل و يحتمل عليه والظعائن والظعون الحبل يشد به الهودج وفي يشد به الجمل قال الشاعر :

لَهُ عُنْقُ تُلْوَى بِمَا وَصَلَتْ ودفان بشتفان كُلَّ ظعانٍ

والظعن واظعن: الظاعنون فالظعن جمع ظاعن والظعن إسم الجمع فأما قوله:

أؤ تصبحي في الظاعن المولي فعلى إرادة الحبس والظعينة الحال

1 – لسان العرب لإبن منظور– د. خالد رشيد القاضي، الجزء الثاني، ط1، 2008، ص241.

كاالرحلة وفرس ،مظعان ،سهلة السير وكذلك الناقة وظاعنة بن مرة أخوات تميم غلبهم قومهم فرحلوا عنهم وفي المثل على كره

ظعنت ظاعنة وذو الظعينة موضع ،وعثمان إبن مظعون ولذي الرمة في خلافة عبد الملك بن مروان 10-17 هـ .[1]

2- حياة ذي الرمـة:

كان مولده بين سنتي سبع وسبعين وثمان وسبعين[2]،للهجرة بتلك الكثبان الرملية الممتدة بين الدهناء ةمناطق اليمامة الخصبة و ربما ولد في الدهناء، نفسها ففي أخباره ما يثير إلى أن أبناء قبيلته كانوا مجاورين بني منقر في أسافل الدهناءوفي شعره يدل على ذلك فهو يشير في أكثر من موضع من شعره بأنه إبني هذه المنطقة،ففي ديوانه ثلاث قصائد يذكر في إثنتين منها أنه أقبل من 'قسا) وهو علم الدهناء يقول في إحداهما[3] (البحر الطويل).

وَلَكِنَّنِي أَقْبَلَتْ مَنْ جَانِبِي قَسًّا أَزُورٌ فَتَى نَجَدَا كَرِيمًا يَمَانِيًّا

ووالده عقبة بن بهيش بن مسعود وأمه أسدية وهي ظبية بنت مسعدة وكان لذي الرمة ثلاثة إخوة[4]، هشام ومسعودجرفاس [5]، أما إبن دريد و إبن سلام فلا يذكران إلا مسعودا وأوفى ولكن صاحب الأغاني يذكر أن أوفى إبن عمه[6].

1 - ابن منظور، المصدر السابق، ص142.

2 - أبو العباس شمس الدين بن خلكان وفيات الإيان وأبناء الزمان 1941 حققه وعلق حواشيه وضع فمارسه محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المعربة،القاهرة نط1 ح177/3

3 - ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي، شرح الإمام أبي نمر أحمد بن حاتم الباهلي ماحي الأصمعي، رواية الإمام أبي العباس لعباس 1983

4 -ابو الفرج الاصبهاني الاغاني ج112/111/1

5 - المصدر نفسه ج1 _111/161

6 - المصدر نفسه ج110/17

ويروى عن طفولته أن امه جاءت به وهو صبي إلى أحد مقرئي القرآن بقبيلته وهو الحصين بن عبدة بن نعيم العدوي، وكا ن يقرئ الأعراب بالبادية إحتسابا بما يقيم لهم صلاتهم ،فقالت له:إن إبني هذا يروع بالليل وكانت لي معاذة أعلقها على عنقه [3].

ففي كثي من أخباره نجده شابا متدينا، مفعما بالإيمان ويذكرون الرواة بأنه كان حسن الصلاة والخشوع وكان يقول:إن العبد إذا قام بين يدي الله لحقيق بأن يخشع ويذكرون عنه أنه إذا فرغ من إنشاء شعره يقول: والله لأكسعنك بشيء ليس في حسابك سبحان الله والحمد الله ولا إله إلا الله والله أكبر[4].

وكان يذكر معرفته بالقرآن والكتابة أحيانا،و قد علل ذي الرمة حرصه على إخفاء ذلك بأن الكتابة عيب عندهم في البادية ورأى ذي الرمة أمامه إخوته الكبار ينظمون الشعر، فحاول تقليدهم وأخذ ينبوع الشعر ينفجر على لسانه،و تأخذه أمه إلى أستاذه الحصين فيبدي إعجابه بشعره،ويقول"أحسن ذي الرمة"[1].

إشارة إلى قطعة الحبل التي كانت تشد المعاذة التي كتبهاله إلى عنده ويغلب عليه هذا القلب فيلقبه به وشاعرنا غيلان بن عقبة ويكني ابا الحارث[2]، ويختلف الرواة سبب تلقيبه بذي الرمة،فيرغم بعضهم أن مية التي أحبها وتغنى بها في شعره هي التي لقبته بهذا اللقب وذلك أن مر بخبائهاوهي جالسة.

3- قصته مع مية:

كانت قصته مع مية في شبابه،وكانت ملهمته الأولى- وميه هي بنت طلبة بنت قيس بن عاصم،ويذكر إبن قتيبةأنها مية بنت فلان بن تميم طلبة بن قيس بن عاصم ومية من قبيلة ،منقر ومنقر ومنقر إحدى أفخاذ مقاعس أحد بطون ويلقى نسبها نسب ذي الرمة عند ادبن طابحة،وهو الجد

1- ديوان ذي الرمة، المرجع السابق، ص110.

2 - المرجع نفسه، ص110.

الذي تلتقي عنده قبائل تميم بن مر قبائل عدي بن عبد مناة وهي قبيلة – منقر- عريقة النسب كثيرة مواطن الفخار منذ أتام الجاهلية.

ويذكر فيها أم اول ما قاد المودة بينه وبينها أنه خرج و هو 'اخوه وإبن عم لهما في بغاء إبل لهم،فقال:بينما نحن نسير إذ وردنا على ماء وقد أجهدنا العطش،فعد لنا إلى حواء عظيم،فقال لي أخي وإبن عمي:أنت الحواء،فاستسق لنا،فأتيته وبين يديه في رواقه عجوز جالسة-قالت- فاستسقيت وراءها فقالت يا من أسقي العلام، فدخلت عليها، فإذا هي تنسج علقة لها.

قال:ثم قامت تصب في شكوتي ماء،فلهوت بالنظر إليها، وأقبلت تصب الماء والماء يذهب يمينا وشمالا فقال:فأقبلت علي العجوز،وقالت:يا بني ألهتك مي عما بعثك أهلك له أما ترى الماء يذهب يمينا و شمالا؟ فأقبلت علي العجوز فقالت: أما والله ليطولن هيا من بها إقال: وملات شكوتي وأتيت أخي وإبن عمي،ولفقت رأسي فأتنبذت ناحية وقد كانت مي قالت:لقد كلفك أهلك السفر،على أرى من صغرك و حداثة سنك،فانشات أقول[1](البحر الوافر)

عحبت مِنْ أَخِي بَيْنَ لِسَيِّدِ وعحبت مَيْنً وَمَنْ مَسْعُودُ

رَأَتْ غُلَامِيُّ سَفَرِ بَعيدِ يُدَرِّعَانِّ اللَّيْلُ ذَا السَّرْدِ

إلى حين أمها- فأستسقاها فقالت أمها قومي،فاسقيه وكانت على كتفه رمة وهي قطعة من حبل، فأتته بالماء وقالت:

أشرب يا ذا الرمة الرمة،فقلت بذلك ورغم بعض الرواة بأنه لقي بذلك لقوله في بعض شعره،حين وصف وتد الخيمة[2].(البحر الكامل)

أَشَقَّتْ بَاقِيُّ رُمَّةِ التَّقْلِيدِ نَعَمْ فَأَنْتَ الْيَوْمُ الْمَعْهُودُ.

1 – ديوانه،ق 11) الأبيات (25-28) الجزء 1/ 335-556

2 – ديوانه البين8 الجزء الأول 357/1 المعهود الذي أصابه سقم

وتحدث الرواة عن أنه كان راوية للراعي النميري الشاعر الاموي الكبير،ولشعر إسلاميين نرى تأثره بهم في شعره وساعد على ذلك ذاكرة قوية وذكاء حاد و تذوق فين للشعر، وإحساس مرهف بمواطن الجمال والإبداع فيه[1]ن وتوفي ذي الرمة بأصبهان وقيل بالبادية عام 117 هـ- 735م وأبى ذي الرمة مية في أول مرة رآها،فظل يهيم بها عشرين سنة،ينبغي بها،يذوب شوقا وحنينا إليها،ثم تفرق الحياة بينهما فيقضي الشاعر حياته يبكي ذلك الحرمان، والحب الضائع بعد أن تقدم إلي مية أحد أبناء عمومتها عاصم المنقري ويخطبها،و تتزوج ميه وترحل مع زوجها ويعود ذي الرمة من بعض رحلاته فيبلغه النبأ فتثور في نفسه، ذكريات حبه الذي ضع،فيعود شاعرنا إلى الصحاء وقد ملأت الجراح قلبه، وفي السنوات الاخيرة من حياته في مضارب بني عامر كانت تنتظره تجربة جديدة[2]

4- قصته مع خرقاء:

وفي الأغاني أربع روايات مختلفة عن قصة لقاء ذي الرمة حرقاء ويروى إبن قتيبة[3]، رواية خامسة يذكر فيها أن سبب تشبيبه بها أنها مرفي سفره ببعض البوادي فإذا خرقاء خارجة من خباء لها فتطر إليهافوقعت في قلبه فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها فقال: إني رجل على ظهر سفر وقد تخرقت إدواتي فأصلحيها لي فقالت والله إني ما أحسن العمل وإني لخرقاء وهي راوية ينقلها عنه صاحب الأغاني[4]، ويختلف الباحثون حول شخصية خرقاء التاريخية ومنهم من يرى أنها هي نفسها[5]،مية ومنهم من يرى أنها محبوبة أخرى غيرها تعلق بها الشاعر في أواخر أيامه.

فخرقاء غيرمية خرقاء عامرية ومية منقرية و بنوعامر ينزلون اليمامة وبنو منقر ينزلون الدهناء فقد كانت خرقاء تعويضا عن الأمل المعقود.

1 – يوسف خليف ،ذي الرمة شاعر الحب والصحراء الناشر مكتبة غريت مصر،ص 29

2 – د- يوسف خليف ،ذي الرمة شاعر الحب والصحراء،ص 43-44

3 – الشعر والشعراء، ص 327.

4 – أبو القرج الأصبهاني الإاني ج110/16

5 – شوقي ضيف التطور والتجديد فيا لشعر الأموي دار المعارف ط 7 ص 247

وعاش ذي الرمة مع خرقاء وخيال مية لا يفارقه وتداخلت الصورتان في أعماقه وتسربت إلى شعره وتوزعت عاطفته وهو يتحدث عن خرقاء فيذكر مية ويتحدث عن مية فيذكر خرقاء والحديث متشابه والعاطفة واحدة ولم يكن حبه الشديد إلا إمتداد لحبه الأول لذلك عاش شاعرنا يعاني صراعا بين ماضي لا يستطيع أن ينساه و حاضر لا يرد أن ينفصل عنه والصراع لا يجد متنسقا له إلا في شعره الذي أودعه .

وهذه الملاحظة المهمة ليست غريبة عن فكرة المعروف بدقة ملاحظته و حسن تحليله للأمور ولكن هذه المقولة تعوزها الدقة و يمسها الباطل فليس في هذا الشعر الجاهلي أو فيها وصل إلينا منه الأصح قصيدة واحدة تقتل فيها الكلاب بقر الوحش ولكنها في قصائد الرثاء تعطل هروب الثور فيدركه الصياد ثم يرميه بسهم فيصيب منه مقتلا[1]، فنجاة الحيوان من سهام الصيادين أو كلابهم تقليد الفني بمجرد أنه تقليد قديم متوارث من الشعر الجاهلي ولم يغب هذا الأمرعن ذي الرمة فقد كان يعرف ذلك بدكام إرتباطه الوثيق بنماذج الشعر الجاهلي مع ذلك نشعر أن ذا الرمة لم يخضع لهذا التقليد الفني لمجرد أنه تقليد متوارث بل توافق الأمرما تنطوي عليه نفسه من حب لحيوان الصحراء فهو رفيق درب الشاعر فوجد فيه مجالا آخر يتنفس فيه عواطفه ومشاعره.

5- الأطلال ومناظر الرحيل: تحتل الصحراء في شعره ذي الرمة منزلتا لا تقل عن منزلة مية بل لا تعلو إذ قلنا انها تحتل المنزلة الأولى قبلها ، فإذا كانت مية قد أحتلت من هذا الديوان ستا وخمسين قصيدة وهي أعلى نسبة ظفرت بها واحدة من محبوباته ،فإن الصحراء توشك أن تحتل كل قصائد الديوان[2]، فالصحراء في حقيقة الأمر هي المحبوبة الأولى والأخيرة في حياة ذي الرمة ويمثل الحديث الطلبي جانبا مهما من وصف الصحراء في شعر العربي فالأطلال جزء من حياة الصحراء وهي أيضا جزء من حياة الشاعر العاطفية، لأنه وجد في وصف الأطلال متنفسا و عزاء وسلوى عن حرمانه من صاحبته وتعلقه بها، وحبه لها... فلا يصور الأطلال من الخراج مفصولة عن صاحبتها

1 - شكري فيصل تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام 1959 مطبعة جامعة دمشق ص 123

2 - ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ص 145

ومجردة عنها، ومن نفسه التي فينت فيها، وتناثرت دموعه وآهاته وزفراته في حياته بل يصورها من الداخل ويمزج بينها وبين نفسه مزجا قويا، بحيث يكون تصويره لها تشخيصا لقصة حبه على أرضها وتحسيها لعشقه لها ولصاحبتها.[1]

ولا يختلف منظر الأطلال في شعر ذي الرمة عن منظر الأطلال في الشعر القديم رسوم دارسة وآثار نوئ متهدم، وأثاف ودمن صامة لا تبين ورياح تتعاقب عليها وأمطار تسقيها، وقطعان من الوحش سر في قبعاتها وأيام الحب الجميلة.

طوتها الرمال وأسماء أماكن محددة شهدتها، وشاعر يبكي ويطلب غلى رفاقه البكاء ويدعونه إلى الصبر والتجلد لكن ذكريات المكان الطلل تثير الأسى واللوعة تستنزف الدموع يقول[2](البحر الطويل)

أَدَارَا بخروى عَجَّتْ لِلَعِينِ عَبْرَةٍ وَمَاءِ الْهَوَى يَرْفِضُ أَوْ يَتَرَقْرَقُ

كمستعبرِي فِي رَسْمِ دَارٍ كَأَنَّهَا بوعساء تَنْصُوهَا الْجَمَاهِيرُ مُهْرَقٌ

وَقَفَنَا فَسَلَّمَنَا وَكَانَتْ بِمَشْرِقٍ لِعِرْفَانِ صَوْتِي وَ مَنَّةُ الدَّارِ تَنَطُّقٌ

تُجَيِّشُ إِلْي النَّفْسِ فِي كُلِّ مَنْزِلِ لَمِّيٍّ وَيَرْتَاعُ الْفُؤَادُ الْمُشَوِّقُ

أَرَّانِي إِذَا هُوَ مُتْ يَامِيَّ زُرْتُنِي فِي ايغمتا لَوْ أَنَّ رُؤْيَايَّ تَصَدُّقِ

فَمَا حُبِّ مَيِّة بِالنَّدَى يَكْذِبُ الْفَتَى وَلَابالذي يُزْهِي وَلَا يَتَمَلَّقُ

ألاظعنت مَيَّ فَهَاتِيَّكَ دَارَهَا بِهَا السُّحُمُ تَرُدِّي وَالْحَمَامَ الْمُطَوِّقَ

أَرَبَّتْ عَلَيْهَا كُلَّ هَوْجَاءَ رَادَةٍ رجول بِجَوَلَانِ الحص حِينَ تَسْحُقُ

1 – ذو الرمة ، المصدر السابق ،ص 101.

2 – ديوانه ق 13 الأبيات 7 ج 1الوعساء رابية من الرمل والمهرق شيء كان يكتب فيه السهم الغربان آريت أقامت هوجاء ريح مختلطة نجول ترمي بالحص.

أن الشعراء كان يمرون بمعاهد صواحبهم وانهم كانوا يطلبون إلى رفاقهم أن يقفو معهم عندنا أما ذي الرمة فلم يكرر له مجال هذا التقليد، بل أضاف إليه فإذا أصحابه يعطفون عليه، ويتركون له المجال لكي يرد التحية، ويتمهل في التسليم وإسترجاع ذكريات المكان، وبث الحنين وإذا هو يكافئهم بالدعاء لهم.

أن ينالوا خير الاخر كقوله (بحر طويل):

خَلِيلِيَّ عَوِجَا الْيَوْمُ حَتَّى تُسَلِّمَا [1] عَلَى دَارِمِيٍّ مِنْ صُدُورِ الرَّكَائِبِ[2]

بِصَلْبِ الْمَعْي أَوْ بَرْقَةُ الثَّوْرِ لَمْ يَدْعُ لَهَا جِدَّةُ جُولِ الصَّاوِ الْجَنَائِبَ

بِهَلٍّ كُلَّ خُوَارٍ إِلَى كُلِّ صغلَة صهول وَرَفَضَ المذرعات القراهب

تَكُونُ عِوَجَةٌ يَجْزِيكُمَا اللهُ عِنْدَهُ بِهَا الْأَجْرُ أَوْ تَقْضِي ذِمَامَةُ الصواحب

يرجوشاعرنا رفيقيه أن يقفا معه على أطلال مي الدراسة،كما يقرن رجاءه بلدعاء لهما أن ينالا رضوان الله فالرجاء عنده مقرون بالدعاء وما عهدنا من قبله ولا من بعده من الشعراء يصنعون، صنيعه أما هو فتحول بها في بعض مقدماته عن طبيعتها الميتة الصامتة إلى طبيعته جديدة ناطقة حيث تبادله الكلام وترد عليه وقوله[3](بحر الطويل):

وَقَفَتْ عَلَى رُبُعِ لَمِّيَّةِ نَاقَتِي وَمَا زَالَتْ أَبِكَيِّ عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبِثِهِ تَكَلَّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمُلَاعِبُهُ

بأجْرع مِقْفَارَ بَعيدَ مِنَ الْقُرَى فَلَاَةً وَحَفَّتْ بِالْفَلَاَةِ جَوَانِبَهُ[4]

1 – ديوانه ق5،الأبيات 1–ع ج187/1 179

2 – ديوانه ق5 الأبيات ج187/1–179

3 – د– حسين عطوان مقدمة القصيدة العربية فيا لعص الأموي ص 111–112

4 – الأجرع من الرمل رمل يرتفع وسطه ويكثر وترقي نواحيه. قرين متنة: قلعن ما في الدار من الشجر. اثباح: أوساط. المرزبان: أي تكثر المشي بهذا الربع.

بِهِ عَرْصَاتُ الْحَيِّ قَرِبْنَ مَتْنَهُ وَجَرْدَ اثباح الْجَرَاثِيمَ خَواضِبَهُ

بالإضافة إلى نطق المكان بالكلام، وإقامة التواصل معه وكأنه كائن حي يشعر ويستسقي له لكن لا يستسقى له تمسكا بالتقاليد ّ،فحسب بل لأنه مرتبط بمكان الحبيبة ويريد له أن يزهر وكأن إخضراره وحركة الحيوانات يحييان في نفسه الأمل، ويجعلانه يتوازن نفسيا أمام صوت المكان وسكونه وتنتشر في ديوان شاعرنا الأمثلة العديدة التي يستسقي فيها لديار مية فيقول[1](البحر البسيط):

يَقُولُ بِالرِّزْقِ صُحْبِيَّ إِذْ وَقَفَتْ بِهُمْ فِي دَارَ مَيَّةَ أَسَتُسْقَى لَهَا الْمَطَرُ

وفي موضع آخر

أَمَنْزِلَتُي مية سلَّام عَلَيْكُمَا [2] عَلَى النَّاي وَالنَّاي يودٌ وَيَنْصَحُ

نرى ذي الرمة في كل أحاديثه الطللية إبن بيئته البدوية وإن تجاربه العاطفية التي شهدتها رمال الدهناء، فكانت تلك الأحاديث الطللي التي تنتشر في ديوانه بمنزلة الرغبة في الخلاص من حال متهدمة للمكان، تتسم بالتحول العميق إلى حال حضارية أسمى وهو شعور عميق بقهر الطبيعة وقسوة الواقع[3].

1 ديوانه ق36 البيت 3 وهو رئيس المزربان ج1145/2

2 – ديوانه ق37 البيت3 ج6 1126/2

3 – عبد القادر القط، في الشعر الاسلامي و الأموي، دار النهظة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص153.

6- الإبل ومناظر الرحيل

كما فتن ذي الرمة بوصف الرحلة فتن أيضا بوصف الإبل الوسيلة الأساسية بل الوحيدة لكل رحلة في الصحراء وهو يقف عادة في وصفه لها عند منظرين منظرها ساكنة ومنظرها متحركة وكما يصفها في حالة سكونها فيقف أمامها مثلما يقف المثال أمام نماذجه يسوى من الصخر تماثيل لها يصفها كذلك في حالة حركتها فيقف أمامها مثلما يقف المحور أمام منظر من المناظر ليلتقط له شريطا من الصور المتحركة لها.

وفي كثير من قصائده تطل علينا هذه التماثيل الرائعة التي كان يبذل في صناعتها جهدا فنيا ضخما حتى يسويها في أحسن صورة لها حريصا على أن يوفي كل جزء من أجزائها خظه من الوصف كاملا على نحو ما نرى في هذه الأبيات التي يصف فيها ناقته الأخيرة لديه التي طالما تغنى بها في قصائد تصدح.

يقول في وصف ناقته[1](البحر الطويل):

لَهَا أُذْنُ حَشْرٍ وَذِفْرَى وَخَدٌّ كَمِرْآةِ الْغَرِيبَةِ أسجح

وَعَيْنًا أَحْمِ الرَّوْقَ فَرَدَّ وَمِشْفَرَ كست الْيَمَانِيُّ جَاهِلُ حِينَ تَمْرَحُ

وَرَجُلٌ كَظِلِّ الذِّئْبِ أَلْحَقَّ سَدُّوهَا وَطَيْفَ أَمْرَتِهِ عَصَّا السَّاقُ أَرَوْحٌ

فأذنا الناقة حادة دقيقة وخدها طول أسيل كأنه مرآة الغريبة التي تعتني بمرآتها وعيناها كأنهما عينا ثور وحشي منفرد في المكان ومسافرها لينة سهلة تشبه تلك الجلود المدبوغة التي يتقن صناعتها أهل اليمن أو أرجلها سريعة خفيفة كأنها ظل الذئب العين تلاحقه و يساعدها على ذلك و ظيفها الواسع المفتول.

1 – ذو الرمة ، شاعر الحب والصحراء ،يوسف خليف ، الناشر مكتبة غريب ، ص154.

و يظهر ذو الرمة في وصفه الإبل عن خبرة واسعة لحياتها وطباعها وهو البدوي إبن الصحراء والخبير بحيوانها على نحو ما نرى في هذا البيت الذي يصف فيه عرق الإبل فيقول[1]

إِذَا أَكْتست عِرْقَا جَوِّنَا عَلَى عِرْقِ يضحي بإعطافها مِنْهُ جَلاَبِيبَ [2]

يقول إن الإبل إكتست عرقا أسود وعرق الإبل كما يقول شراح شعره أول ما يخرج أسود فإذا غب أصفر[3].

إحتلت الناقة في شعر ذي الرمة مكانة عالية وهي رفيقته في حياته وفي ظعنه وفي إقامته فالإبل هي الموجود الملائم للإمكان القفر الذي إندمج مع الشاعر ووسيلته لهذا ناقته وهي مؤهلة بطبيعتها للخوض في هذه القفار المترامية نظرا لما تتمتع به من قدرة على تحمل الصعاب فيقول:

إِذَا الهموم خَمَّاكَ النَّوْمُ طُرَّاقَهَا وَ إعتاد مِنْ طَيْفِهَا هُمْ وَ تَسْمِيدٌ
فإِنْم القنود عَلَى غَيْرِ أَنَّهُ أَجِدُ مَهْرِيَّةَ مَخْطَتِهَا غَرَسَهَا الْعِيدُ [4]

أنتم: الأمر من نمى أي رفع القنود عيدان الرحل الحيرانة الناقة شبهها بعير الفلاة لنشاطه.

ولم يقف ذو الرمة عند وصف الإبل، بل وقف طويلا عند حيوان الصحراء وحشراتها بين رمالها فوصف الظباء و صغارها والنعام و أفرادها وقطعان الحمر والبقرة الوحشية والذئاب والثعالب والضباع والضباب والقطط...إلخ.

فإن الناظر في ديوانه يحس إحساسا عميقا بأنه لم يكد يترك شيئا رآه دون أن يقف عنده ليصفه في دقة تلفت النظر وتنتزع الإعجاب بما فيها من خبرة عميقة صادقة بحياته و طباعه بل مشاعره

1 – ذو الرمة ، المصدر السابق، ص102.
2 – جلابيب لباس وجون أسود وأبيض
3 – ينظر شرح البيت في ديوانه ذي الرمة ص 1574
4 – حماك منعك طارقها والطارق هنا الطيف طيفها أي ما ياتيه منها التسميد السهر ، شرح زهير فتح الله ، ص 145

وعواطفه الداخلية ولنستمع إليه يصور عاطفة الظبيه نحو خشفها الصغير ولا ينسى أن يصف الحنان الذي يملأ نفسها[1].

إذا إستودعته صفصفا أو صريحة تنحت ونصت جيدها بالمناظر(البحر الطويل):

جذارا عَلَى وَبُنَّانِ يَصْرَعُهُ الْكَرَى بِكُلِّ مُقَبِّلٍ عَنْ ضغاف فَوَاتَرَ

وَتَهْجُرُهُ إِلَّا إختلاسا نَهَارَهَا وَكُلَّ مَنْ مُحِبُّ رَهْبَةِ الْعَيْنِ هَاجِرٌ

حذار المنايا خشية أن يفتنها به وهي إلا ذاك أضعف لناظر يهور الظبية وقد رمت بخشفها على الأرض الرمة ووقفت بعيدا كأنها تخش إن مكنت معه أن تدل و يعبر ذو الرمة الثور الوحشي منفردا وقد إكتنس من الحر الشديد في نباتات الصحراء فيقول[2] (البحر البسيط):

فَيَّأَتْ ضيقا إِلَى أرطات مَرَّ تَكُمُّ[3] منَ الْكَثِيبِ بِهَا دِفْءٌ وَ مختجب

وَقَدْ تَوَجَّسَ رَكَّزَا مُقْفِرُ نَدُسْ بِنَبَأَةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعِهِ كَذِبٌ

غَذَا كَأَنَّ بِهِ حَنَّا تذَائِه مِنْ كُلِّ أَقْطَارِهِ يَخْشَ وَيَرْتَقِبْ

ولا يزال الثور في كناسه حتى أقبل الخريف فخرج إلى مكان آخر يستدعيه ما الفه فيه من أعشاب وإنه ليجرى في الصحراء يطلب مأوى وقد أحاطت به الرمال من كل جانب حتى يدهمه الليل والمطر فيحتمي إلى جانب أرطاة يمضي فيها ليلته ويسقط المطر فوقه كأنه جمان ينحدر من سلكه ويزيد الثور أن يدخل أكثر مما دخل في كناسه فتمنعه فروع الأرسطى و غصونها وهو يترقب فيسمع صوتا خفيا من حوله هو صوت الليل في الصحراء وقد إختلط بصوت الريح والمطر

1 – ذو الرمة ، المصدر السابق، ص102.

2 – ديوانه ق1 الأبيات 67-68-78-72-74-ج1 ونشاص الدلو: ما تراكب من السحاب وإرتفع

3 – مرتكم ما تراكم من الكيش

يقول ذي الرمة (البحر الطويل) :

قَدْ إِكْتفلت بِالْحُزْنِ وَأعْوَجِ دونِهَا [1] خوارب مِنْ خُفَّانِ مُجْتَابَةٌ سِدْرًا

حراجيح مَا تَنْفِكَ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى الحنسق أَوْ تَرْمِي بِهَا بَلَدَا قَفْرًا

و يتردد في شعر ذي الرمة وصف الحرباء فهو يذكره ويلح على ذكره في كثير من قصائده فوصف تلونه ووقوفه في الشمس بلا حراك إنه يتلون مع الشمس و تتغير ألوانه فأحيانا يبيض أو يخضر فقد كان ذو الرمة يجيد صفة الحرباء وهو كثير في شعره[2].

ولنستمع إليه حين يصوره فوق أعواد النبات الجاف وقد مدكفيه في الهجير وكأنه مذنب رفع فوق جذع شجرة ليصلب[3](البحر الطويل):

إِذَا جَعَلَ الْحِرْبَاءُ يَبِيضُ لَوْنُهُ ويخظر مِنْ لِفَحِّ الْهَجِيرِ غباغبه

وَيَشْبَحُ بِالْكَفَّيْنِ شَبَحًا كَأَنَّهُ أَخُو فَجْرَةٍ عَالِيٍّ بِهِ الْجَذَعُ صَالِبُهُ

وأحيانا نرى الحرباء منتصبا في الهاجرة كأنه شيخ هندي أثيب مصلوب فيقول (البحر البسط) :

كَأَنَ حِرْبَاءُ هَا فِي كُلُّ هَاجِرَةٌ ذُو شَيْبَةٍ مِنْ رُجَّالِ الْهِنْدِ مَصْلُوبٌ

ولا نجد له اخبار تتصل بقبليته إلا ما يروى عن خصومة نشأت بينه وبين من يسمى "عتيبة بن طرثوث" بسبب بئر كانت لقبيلته إلا ما يرويه الرواة وهو أنه نزل جماعة من قبيلته على قبيلة إمرؤ القيس بن عبد مناة في قرية لها تسمى مرأة فلم يقروهم ولم يكرموهم فإصطدم مع هشام المرئي فنشب

1 – ذو الرمة ، المصدر السابق، ،ديوانه ق 49 الأبيات 17/16 إكتفلت الحزن صيرت الناقة الحزن خلقها والحسف الجوعوالحراجيح : ظامرة طوال من الهزل.

2 – ديوانه ق 26 البيتان 41-42

3 – محمد بن سلام الجمحي طبقات فحول الشعراء ص 549

الهجاء بينهما[1]،و لكن هذا الهجاء لم يستمر بينهما لإن هشاما كان متخلقا في الشعر ولم تكن له قدرة ذي الرمة وفي الديوان ما يشير إلى أن رحلاته إمتدت إلى دمشق وله شعر في مديح الخليفة الأموي[2]وأكبر الظن أنه هشام بن عبد الملك عليه السباع وهي تبعد عنه وتنظر من حولها حذرا على إبنها وإنها لا تأتيه إلا خلسا لا تطيل عنده المقام ونرى في أثناء وصف الحيوان حرصه الشديد على تتبع تفاصيل المكان ليتوصل إلى الفكرة التي أرادها وكم من محب رهبة العين هاجر وفي الأبيات السابقة ففي أثناء حديثه عن مشاعر الأمومة لدى الظبية حرص على ذكر المكان حيث إستودعت هذه الظبية ولدها لضعفها أو صريحة فهذا المكان القطعة المستوية من الأرض أو الرمل لايؤمن الحماية الكامنة لولدها، لذلك نصت مدحيدها بكل مكان مرتفع تنظر منه المناظر وقد إتسع في وصف نفسيات الحيوان والثور والوحشي إتساعا جميلا وصورها تصويرا مدهشا وأعطاها كثير من مشاعره و نعرف أن قصص الحيوان في شعرنا القديم تنتهي إما بنجاة اليوان في غير قصائد الرثاء وقد لاحظ ذلك الجاحظ الذي راى أنه "من هادة الشعراء إذا كان الحديث مرئية أو موعظة أن تكون الكلاب التي تقتبل بقر الوحش وإذا كان الشعر مديحا قال كأن ناقتين بقرة من صفتها لحذاء أن تكون الكلاب هي المقتولة ليس على أن ذلك حكاية عن قصته بعينها ولكن الثيران ربما جرحت الكلاب[3].

1 – محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعر ص 557

2 – ديوانه ذي الرمة، ق (65) البيت ج1617/3

3 – دوهب رومية قصيدة المدح حتى نهاية العصر الاموي ص 425

7- المكان في شعر ذي الرمة:

ذو الرمة هو أحد فحول شعراء بني أمية و أغلب شعره مكانيا بالدرجة الأولى وكأن شعره ما كتب إلا ليعبر عن المكان أصالة من خلال الأعراض التي يثيرها ظاهريا وكأن المكان هو المطلب الأول في كل إبداع شعره يتحمل عين التعبير عن الهموم الأخرى التي لها صلة به من ناحية آخرى

وقدم ذو الرمة مشاهده وأفكاره بصور مكانية وزمانية تجعل حواسنا تستيقظ لتلمس ما فيها من سحر وجاذبيته وخاصة حين قدم لنا الصحراء في بعدها الزماني والمكاني فحضور الصحراء بوصفها مكانا والليل بوصفه زمانا ،وكان حضور الطبيعة في شعره عنصرا قويا من عناصر بيان العلاقة بينه وبين المكان حوله وشعره صور معبرة عن عشيقته فأصبحت لغته الشعرية مستمدة من معجم الحالات النفسية كما أنها تصبح حقا أداة زمانية في طبيعتها تحمل دلالات مكانية فالزمان مرتبط بذات إنسانية ويزداد شعور الشاعر بالزمان فيما يرغب في حقيقته أو يسعى دائما في طلبه مفصلا قيمته في نظره على سواء وفي مقدمتهم الحبيبة[1].

8- رحلة الظعائن:

ذي الرمة وصف مناظر الرحيل وهي تمثل لونا من لوحاته الصحراوية فهو يتسع القافلة وهي تسير في الصحراء و ذكر أسماء الأماكن التي مربها ويأخذ وصفا مناظر الرحيل عنده الوضع التقليدي القديم الموروث منذ الجاهلية فيأتي بعد الحدث الطللي فيرسم لها لوحات رائعة تنبض بالحياة وتفيض بالمشاعر الصادقة و الحنين إل الراحلة الحبيبة وعواطف الحب لها، والذكريات التي مربها ضمن المواقف الوداع وتتقدم الرحلة في وسط هذا المدى الصحراوي المجذب والشاعر يغمره الحزن والألم والفراق ومعاناةالرحلة ونذكر مشهد من مشاهد الرحيل للأظعان مية كما يبدو شاعرنا شديد الإنفعال بموقف الوداع والرحيل[2] (البحر الطويل):

1 – د- نضال الأميوني دكاش- ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم 2006 دار الحداثة لبنان طبعة 1 ص 99

2 – قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والإحياء والتجديد 1961 منشورات وزارة الثقافة والإرشاد ص 10

نَظَرَتْ إِلَى أَطُعَّانَ مَيَّةٍ كَأَنَّهَا مَوْلَيَةُ مَيْسِ تَمَيُّلِ ذَوَائِبِهِ

فَأَبْدَيْتُ مِنْ عَيْنِيٍّ وَالصَّدْرِ كَاتِمٌ وَبِمُغْرٍ وَرَقِ نَمُتْ عَلِيَّ سَوَاكِبِهِ

هَوَى آلَفَ جَاءَ الْفِرَاقُ فَلَمْ تَجِدْ جوائلها أَسَرَارَهُ وَمُعَاتِبَهُ

طعَائِن لَمْ يَحْلُلْنَ إِلَّا تُنُوفَةٌ غَدَاةَ إِذَا مَا الْبَرْدِ هَبَّتْ جَنَائِبُهُ

يُعْرِجَنَّ بالصمان حَتَّى تَعَذَّرَتْ عَلَيْهُنَّ أَرْتَاحُ اللَّوَى وَ مَشَارِبُهُ

وَحَتَّى سِرْتُ بَعْدَ الْكَرَى فِي لَوِيَّةُ أَسَارِيعَ مَعْرُوفٌ وَفَّرَتْ جنامه

فَأُصْبُحِنَّ بالجرعاء جرعاء مَالِكٌ وَآلَ الضُّحَى تَرْمِي الشبوح جَنَائِبَهُ

فَلَمَّا عُرْفِنَا أية الْبَيْنَ بَغْتَةً وَرَدَّتْ للاحداج الْفِرَاقَ رَكَائِبَهُ

وَقَرِبْنَ لِلْأَظْعَانِ كُلَّ مَوْقِعٍ مِنَ البنزل يُوفَى بِالْحُوِّيَّةِ غَارِبِهِ

وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِلْف تَحِيَّةً مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنَّ يُسَلِّمُ حَاجِبُهُ

تَرَاءَى لَنَا مَنْ بَيْنَ سُخْفَيْنِ لَمْحَةَ غَزَالِ أَصَمِّ الْعَيْنِ بِيضَ تَرَائِبُهُ[1]

إنه يستعيد ذكريات يوم الرحيل يوم أن رحلت مية مخلفة وراءها آثار ديار بالية وذكريات حب باقية، وعاشقا يحاول جاهدا مدارارة عواطفه وكتمان أحزانه فتخونه الدموع التي تفضح ما يخفيه في صدره من حب جارف لا يعرف كيف يتجه به وهو ينظر إلى القافلة الراحلة ويتتبعها بخياله في رحلتها البعيدة من منزل إلى منزل و كل مشاهد الرحلة تتراءى له المياه التي تمر بها وقد أخذ السفا الذي حملته رياح الصيف الحارة يكسوها، و نبات الصحراء الجاف الذي تأخذ أساريع الرمل تسرى فيه كلها تقدم الليل بنسماته الرطبة المنعشة، و السراب المنتشر فوق رمال الصحراء و قد أخذ يرفع الشخوص المنطلقة في آفاقها،بل إنه ليسمع صرير الجنادب في أرجائها ومن وراء هذه المشاهد يتراءى له مرة أخرى منظر الوداع وقد أخذت القافلة تستعيد للرحيل و كل إلف يحاول وداع إلفه فتردد عنه عيون الناس المتراحمين حول هي فلا يملك إلا تلك التحية (البحر الطويل):

1 – ذو الرمة شاعر الحب والصحراء، يوسف خليق – الناشر مكتبة غريب بدون طبعته للطباعة نفس المرجع ص 151

نَظَرَتْ وَرَائِيُّ نَظَرَةِ الشَّوْقِ بعدمَا يَدَ الْجَوِّ مِنْ حَيَّ لَنَا والدساكرالْقَدِيمَ
أَجَدْتُ بِأَغْبَاشٍ فَأَضْحَتْ كَأَنَّهَا مَوَاقِيرُ نَخْلٌ أَوْ طلوح نَوَاظِرَ
ظَعَائِنَ لَمْ يَسْلُكَنَّ أَكنَافٍ قَرْيَةٍ بِسَيْفٍ وَلَمْ تُنَعِّصْ بِهَذِهِ الْقَنَاطِيرِ
تُصَيِّفَنَّ حَتَّى إِصْفر أَقُوَاعَ مُطْرِقَ وَهَاجَتْ لِأَعْدَاءِ الْمِيَاهِ الْأَبَاعِرَ
جَذَبَتِ الْهَوَى مِنْ سَقَطِ حَوْضٍ فِي سَدَفَةٍ عَلَى أَمْرِ ظعان دَعَتْهُالْمَخَاطِرُ
فَأَصْبَحَتْ قَدْ نَكَبْنَ حَوْضَ وَقَابِلِنَّ مِنَ الرِّمَالِ ثيحاء الْجَمَاهِيرَ عَاقِرٌ
وَتَحْتَ الغوالي فِي اِلْقَنَا مُنْتَظِمَةَ ظباءا أَعَارَتْهَا الْعَيْنُ الْجَائِرُ[1]

هذا المشهد هو مشهد الفراق والإنقطاع إلى مكان الحبيبة الراحلة وبذلك كانت مناظر الرحيل في شعره تعتمد على التنوع في الصحراء إن وصف الرحلة لدى ذي الرمة هناك عنصرين بقوله في سفره.

أولا منظر الحارة الحارق وقد إنتشر عند البادية والرياح الحارة تحصي على القافلة الإبل ومعاناة أسراب القطامن الظمأ الشديد فنجد القافلة مشقة بعصائبه في طريق سبب الرياح القوية كما تضرب الرياح القوية وجوه الإبل وقد أخذ لها مهما سبيل من أشداقها فتبدو مليئة ظعائن[2] (البحر الوافر):

ينص ويخرج العرق من أجسادها

وساجرة السَّرَابَ مِنَ الموامي تَرْقُصُ فِي عَسَاقِلِهَا الْأُرُومَ
يَمُوتُ قِطًّا الْفَلَاَةِ بِهَا أَوْ أَمَّا وَيُهْلِكُ فِي جَوَانِبِهَا النَّسِيمَ
لَهَا غَدْرٌ وَلَيْسَ بِهَا بِلَالٌ وَأَشْبَاحٌ تَحَوَّلَ وَمَا تَرَنَّمِ
قَطَّعَتْ بِفَتِيَّةٍ وبيعملات وَيَعْمَلَانِّ تَلَّا طَمِّهِنَّ هَاجِرَةَ هُجُومٍ
وَنَرْفَعُ مِنْ صُدُورِ سَمَرِ دَلَّاتٍ يَصُكُّ وُجُوهُهَا وَهَجْ أَلَمْ

[1] ذو الرمة، شعر الحب والصحراء، يوسف خليف، مكتبة غيرب للنشر، نفس المرجع، ص151
2 – د يوسف خليف ذي الرمة شاعر الحب والصحراء ص 109

تَلَثَّمَ فِي عَصَائِبِ مَنْ لُغَامٍ إِذَا الأَعطَافَ ضَرَجَهَا الْحَمِيمُ

وَقَطُّ مَفَازَةٍ وَرَكْبِ أُخْرَى تَكِلْ بِهَا الضبارمة الرُّسُومَ [1]

ويتكلم عن أظعان يقول[2] (البحر الطويل):

تُبْصِرُ خَلِيلِيُّ هَلْ تَرَى مِنْ ظعَائِن سَوَالِكَ نَقِيَا بَيْنَ حَزْمِي شعبعب

عَلَوْنَ بانطاكية فَوْقَ عُقْمَةٍ كَجُرْمَةِ نَخْلٍ أَوْ كَجَنَّةِ يَثْرِبُ

فَلَّلَهُ عَيَّنَا مَنْ رَأَى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشَتَّ وأناي مِنْ فِرَاقِ الْمُحَصَّبِ

فَرِيقَانِ مِنْهُمْ بازع نَخْلَةً وَآخِرَ مِنْهُمْ قَاطِعَ نَجْدِ كَبْكَبَ

وأيضا تكلم عن الأطلال ورحلة: الظعائن زهير إبن أبي سلمى (البحر الطويل):

تَبَيَّنَ خَلِيلِيُّ هلَى تَرَى مِنْ ظَعَائِنِ بِمُنْعَرَجِ الوادي فُوَيْقَ أَبَانِ

مَشِينًا وَأُرْخِيَنَّ الذُّيُولَ وَرَفَعَتْ أَزِمَّةُ عِيسَى، فَوْقَهَا وَمَثَانِيٌّ

عَلَى كُلِّ صَهْبَاءِ العثانين شامذ جَمَالِيَّةً فِي رَأْسِهَا شَطْنَانِ

وأعيس مَخْلُوعَ غِبِّ الشول مُلَبَّدَةً فَنَابَانِ مِنْ أَنْيَابِهِ غَرِدَانِ

وَكُلَّ غَزِيرِي كَأَنَّ فَرُّوجَهُ إِذَا رَفَعَتْ مِنْهُ فَرَوَّجَ حِصَانٌ

لَهُ عُنْقُ تِلْوِي بِمَا وَصَلْتٌ بِهِ وَدُفَّانِ يَشْتَفَّانِّ كُلُّ ضعان

في رحلة الظعائن وهي النساء المحتملات على الهوادج تكون[3]

قلوب الشعراء مكلومة متألمة لإنه الفراق ومغادرة المكان لكن زهير هنا يبدو على غير العادة.

1 – ديوانه ق19 الأبيات 11-12-13-14-15-16-17-18-19 ج ج2 العساقل: السراب الأوام شدة العطش

شمردات: هي طوال سراع

2 – ديوان إمرئ القيس، ص 43

الظعائن: النساء في الهوادج والحزم ما غلظ من الأرض

3 – ديوان زهير بن أبي سلمى شرحه وقدم له الأستاذ علي حسن فاعور دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1911 ص 135

فالشاعر ذي الرمة ليس الوحيد الذي ذكر رحلة الظعائن بل جاء تقليد للشعراء السابقين إمرؤ القيس زهير إلخ و ذي الرمة أخذ منهم ووظفها في شعره لإنه جاء في العصر الأموي أي مفاخر ونذكر رحلته في الفصلين التي تبين بالتفصيل.

الفصل الثاني

فنية رحلةالظعائن في

شعر ذي الرمة

1- التشبيه عند ذي الرمة:

تتركز براعة ذي الرمة الصناعية في التشبيه، فهو المفهوم الأساسي لصناعته الفنية،أو هو القاعدة الأساسية التي يقوم عليها البناء الفني لشعره، وهي ظاهرة لاحظها عليه القدماء، وسجلوها له وجعلوها ميزة،إنفرد بها بين شعراء عصره و رأوا فيها القصة التي وصلت إليها صناعة التشبيه في الشعر الأموي.

وكل من تحدثوا عنه من الرواة والنقاد القدماء نوهوا ببراعة، الفائقة في التشبيه وقدرته النادرة عليه، فقد كان الأصمعي يقول:

*كان ذو الرمة أشعر الناس إذا شبه[1]، وكان إبن سلام يقول:"وكان لذي الرمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الإسلاميين"[2]، ويجعله إبن قتيبة"أحسن الناس تشبيها[3]،وربطوا بينه وبين،إمرئ القيس الذي يعد عندهم القصة التي وصلت إليها صناعة التشبيه في الشعر الجاهلي،و كان حماد الرواية يقول: أحسن الجاهلية تشبيها إمرؤ القيس،الجاهلية تشبيه إمرئ القيس و أحسن أهل الإسلام[4].

أما ذو الرمة فالتشبيه عنده يقف في منتصف الطريق بينهما،و هو من ناحية- قد تجاوز مرحلة البساطة التي وقف عندها إمرؤ القيس وهو من ناحية آخرى لم يحل إلى درجة التكلف الصناعي

1 - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني،ج 112/16 حققه وقدم له وعلق عليه- د/عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة- بيروت القصيدة (43) البيت 32

2 - المصدر نفسه 109

3 - أبو محمد عبد الله مسلم بن قتيبة- الشعراء والشعراء د-ت حققه وضبط نصه ووضع حواشية: دكتور قميحة والأستاذ محمد أمين الضناوي،دار الكتب العلمية- بيروت 227

4 - أبو الفرج الأصفهان، الأغاني، 1970، الناشران صلاح يوسف الخليل- دار الفكر للجميع- طبعة بولاق الأصلية،بيروت —ح ج ص 165-122

والمبالغات الزخرفية التي ظهرت عند إبن المعتز، وإنما يمتاز التشبيه عنده بأنه صورة صادقة للطبيعة التي عاش بها.

ومن بين هذه الألوان المتعددة التي يضمنها هذا الصندوق البدوي من صناديق الأصباغ عند ذي الرمة يبرز لونان يعتمد عليها إعتمادا كبيرا في تشبيهاته أشجار الصحراء الضخمة العالية التي يشبه بها الإبل الظعائن وكثبان الرمال التي يشبه بها جسد صاحبته، و هو صورتان تتردان كثير في شعره، فالجمل الضخم وقد جبينه قطع العهن الأحمر من الرقوم التي رفعتها الظعائن عليه يشبه نخلة عالية سامقة تتدلنا على جوانبها قنوان البسر الاحمر(البحر الطويل):

رَفَعْنَ عَلَيْهِ الرَّقْمَ حَتَّى كَأَنَّهُ سَحوقُ تُدْلَى مِنْ جَوَانِبِهَا الْبُسْرَ[1]

وَقَوَافِلَ الظَّعَائِنِ تَتَرَاءَى إِذَا رَفَعْنَ لَنَا بَوَاسِقُ النَّخْلِ مَنْ يَبْرِيَنَّ أَوْهَجْرًا[2]

أو كانها نخل متفاوت الطول ينمو في قرى خصبة(البحر الطويل)::

فَقَالَ أَرَاهَا بالنميط كَأَنَّهَا نَخِيلُ الْقُرَى حَبَّارَهُ وَ أَطَاوِلُهُ[3]

وتارة آخرى تتراءى له كاشجار الطلع الناظرة الخضراء (البحر الطويل):

أَجِدْتُ بِأَغْباشٍ فَأَضْحَــتْ كَأَنَّهَا مَوَاقِيرُ نَخْلٍ أَوْ طَلْــوْحُ نَواظــرٌ[4]

أو كالأشجار الضخمة في وادي القرى:

فَأَطَحْتُ بُوعَساءِ النَّمِيطِ كَأَنَّهُــاً ذَرَى الْأَثْلُ مُــنَّ وَدايَ الْقَــــرُى[5]

1 – ذو الرمة ، مصدر سابق ، ق 29 ، ص215– السحوق : النخلة الطويلة.

2 – ق62 البيت 1 ص 177

3 – ق42 البيت17 ص 243 مواقير النخل– المحصلة بالبلح

4 – ق5 البيت 7 ص 39 الميس:شحر

5 – ق5 البيت7 ص 39 الميس: شحر

أَوْ كَالْأَشْجارِ الْمِيسِ العَظْـــامُ تَماثيلَ أَعالِيهْـــــاً وَنَخْلِيهـــــــاً نَظَرْتُ

إِلَى أَظْعانِ مِيَّةَ كَأَنَّهُـــــا نَواعِمُ عَبْرِي تَصِيـلُ غُصُونَهُـــاً[1]

وكما ينشر هذا اللون في تشبيهاته ينتشر أيضا اللون الآخر، فيجسد صاحبته الناعم الممتلئ الملتف يشبه كثبان تلتف حوله الرمال.

وقد إخترت قافية الجيم (البحر البسيط):

يا حادِيِ بِنْتِ فَضَاضَ أَمَالَكُمَا حَتَّى نَكْلِمُها هَمَّ بِتَعْرِيـــجُ

هنا يذكر الشاعر إمرأة يا حادبي وهنا يحاطي رحلين[2]،و يسالهما إما لكما حتى نكلمهما بتعريج

خُودٌ كَأَنَّ إِهْتَزَازَ الرُّمْحَ مَشْيَتُهَا لَفاءَ مَكْورَةً مِنْ غَيْرِ تَهْبِيحِ [3]

مما يصف خود ناعمة و لفاء عظيمة الفخذين مكورة (البحر البسيط):

حسته إمتلاء الساقين وإستدراتهما مع إكتنار لحمهما هنا يشبه مشيتها بالرمـح (البحر البسيط):

فِي رَبْرَبِ مِخْطِفَ الْأَحْشاءَ مُلْتَبِسَ مِنْهُ بِنَا مَرَضُ الْحُورِ الْمُبَاهِيـــجُ [4]

هنا يصف الربرب القطيع من البقر وهنا يعني النساء (شبههن بالبقر) (البحر البسيط):

كَأَنَّ أَعْجازَهَا وَ الرِّيطَ يَعْصِبُها بَيْنَ الْبِرِّيْنِ وَأَعْنَاقَ الْعَواهِيـــجِّ [5]

1 – ذو الرمة ،ق7 البيت 14 ص 41 العبري السدر الريان الناعم الذي ينمو على الماء

2 –نفس المصدر ، ص106

3 – نفس المصدر، ص 106

4 – نفس المصدر، ص 106

5 – نفس المصدر، ص 106

هنا يقصد بالريط: ثياب، يعصبها: يلتصق بها، البرين: الخلاخيل والأساورة هنا يشبه بطول عنقها مثل الضباء وخاصة عندما بالأساور والخلاخيل في رحليها.

ومن قصيدته الرائية (البحر البسيط):

مِنْ كُلِّ عَجزَاءٍ فِي أَحْشائِها هَضَمَّ كَأَنَّ حَلِي شَواها الْبِسَ الْعُشْر [1]

أي من كل إمرأة عظيمة العجزاء ظامرة البطن وما يبرين به من الحلي شواها هي يداها ورجلاها و العشرا البنت الناعم إذا شبه أطرافها بالبنت الناعم لنعومة أطرافها وهذا تشبيه. (البحر البسيط):

لَمْيَاءَ فِي شُفَيَتِها حُوَّةً لِعَـــــسٌ كَالشَّمْسِ لِمَا بَدَتْ أَوْ تُشْبِهُ الْقَمَرا [2]

أي شبهها كالشمس لما بدت أو تشبه القمرا

حَساتِهِ الْجَيِّدِ تَحْلُو كُلَّما إبْتَسَمْتُ عَنْ مَنْطِقٍ لَمْ يَكُنْ غَثاوَ لَا هَذِراً [3]

هو يصف جيد هذه المراة بأنها حسن وتحلو كلما إبتسمت[4]، وكلامها غير كثير فالهذر هو كثرة الكلام دون فائدة (البحر البسيط):

عَنْ وَاضِحٍ تَغْرِهُ حَرٌّ مَرَّاكِـــزَهُ كالْأُقْحُوانِ زَهَتْ أَحْقَافَـــهُ[5]

وهو يصفها ثغرها و حو أي اسود وشبه أسنانها كالزهر الأبيض

1 – ذو الرمة ،المصدر السابق، ص 192

2 – واللمى والحوة واللمس:كلها سواء الشفتين وهو من أمارات الجمال عند القدماء ، نفس المصدر، ص 192

3 – نفس المصدر، ص 192

4 – نفس المصدر، ص192

5 – نفس المصدر، ص192

قال ذي الرمة (البحر الطويل):

ظَعائِنٌ لَمْ يَسْلَكِنْ أَكْنَافَ قَرْيَةٍ بِسَيْفٍ وَلَمْ تَنْغَضْ بِهِنَّ الْقَنَاطِرِ[1]

لقد ذكر الشاعر الظعائن الإبل التي يرتحل عليها وأنها لم تسلك أكناف قرية أي جوانبها ونواحيها والسيف الذي يقصد الساحل ولم تنعض أي لم تتحرك بهن الوان القناطير فهن في البدو ولم يأتين قرية ولم يرين بحرا

تَصِيفُنَ حَتَّى إِصْفَرَ أَقْوَاعَ مُطْرِقٌ وَهَاجَتْ لِأَعْدَاءُ فِي الْمِيَاهِ الْأَبَاعِرِ[2]

فإذا حل بهن الصيف (تصيفن) خفت و إصفرت مناقعها وغارت فأما الأقواع فهي الأرض المنخفضة ومطرق هو إسم ذلك المكان من الأرض كثرت وهاجت (الجمال التي هي الأباعر لشرب المياه،فقد قال "هاجت لأعداء المياه الأباعر إذ يقصد بها المياه القديمة.

وقال ذو الرمة (البحر الطويل):

وَ طَارِعَنِ الْعَجَمِ الْعَفاءِ وَ أَوْ جَفْتَ يَرِيعانِ رَقْرَاقَ السَّرابِ الظَّواهِرِ[3]

يقصد بالعجم صغار الإبل إذا طار عفاعها أي وبرها من شدة السرعة لأنه يقول بريعان رقراق السراب الظواهر أي في أول المشي والسير.

قال كذلك (البحر الطويل):

وَلَمْ يَبْقَ أَلْوَاءُ الثَّمَانِي بِقِيـــةً مِنَ الرَّظْـــبَ إِلَّا بَطَّـــنَ وادٍ وَحَـــاجـــزٍ[4]

1 –ذو الرمة ، المصدر السابق ، ص 236

2 – نفس المصدر، ص 236

3 – نفس المصدر، ص 236

4 – نفس المصدر، ص 236

أَيُّ مَا إِسْتَرَقَّ مِنَ الرَّمْلِ فِيهِ الْعُشْبَ مِنَ الرَّطَبِ أَيِّ الْأَخْضَرِ منَ النَّباتِ

وقال ذو الرمة (البحر الطويل):

جَذَبْنَ الْهَوَى مِنْ سَقَطِ خَوْضَى بِسَدْفِهِ عَلى أَمْرٍ ظَعْـــانِ رَغَتْهُ الْمُحَاضَـــرُ[1]

المكان يسمى حوضيعني أن الظعائن تزعن هو أهن من منقطع رمل والظعائن هو الذي يقود الظعائن التي فيها الإبل المسافرة وعليها النساء والمتاع

وَ تَحْتَ الْعَوالِيِّ وَالْقِنا مُسْتَظِلَّةً ضَبَاءٍ أَعَارَتْهَا الْعُيُونُ الْجَاذِرَ[2]

هنا شبه المرأة بالضياء أي تكون المراة عالية في الهودج ومستظلة تحته والناس كلهم تحتها.

ومن هائية إخترت

والأَهْلُ تَرَى أَظْعَانَ مِي كانِها ذَرَى أَثْأَبَ رَاسَ الْعُيُونِ شَكِيرِهَا[3]

يتساءل شاعرنا ويسأل عن من نظر إلي أظعان مني وتلك الإبل في الأثاب أي شجر معراه عضونة وذراه أي أعلاه وقد كساها الشكير أي الضعيف من كل نبت

يصور لنا الشاعر لحظة رحيل مية كأننا أمام لوحةفنية تراثية بديعة المناظر من صحراء وعشب ور مل إضافة إلى هودج مية وما كان يقاسيه من الرحيل والفراق مع موسيقى إيقاع حزين تمثلت في التصيع كأنها شكيرها وإنها تمثل آهات الشاعر وحرقته.

ومن قصيدته الرائية (البحر البسيط):

1 – ذو الرمة ، المصدر السابق ، ص 236 .

2 – نفس المصدر ، ص 237 .

3 – نفس المصدر ، ص 280.

شَافُوا عَلَيْهِنَّ أَنْمَاطاً شَآمِيَّةً عَلَى قَنَّا أَجْلَاتٍ أَطْلالـــــهُ الْبَقْـــرَّا[1]

شافو عليهن أي جعلوا عليهن أثوابا (أنماطا) من الصوف تطرح على الهودج من صنع الشام، القنا: هي عبيدان الهودج مع بقر الوحش

شبهتها النظرة الأولى و بهجتها وهن أحسن منها بعدها صورا[2]

اي شبه النساء بالبقر في النظرة الأولى، وهو يعني أن النساء أحسن من البقر بعد تلك النظرة بهجة من صورهن.

وصف الظاعنات، وقد دخلن في كنس، أي ماوى يأويهن من حرارة الشمس يقول ذو الرمة (البحر الوافر):

وَفِي الْأَظْعانِ مِثْلَ مُهَا رِمَاحَ عَلَتْهُ الشَّمْسِ فادْرَعُ الظِّلا لا

تَجُوفُ كُلَّ أَرْضاةٍ رَبْـــوصٍ مِنَ الدُّهناءِ تَفْرِعَتِ الْحَبْـالا[3]

ولوحة الظعائن هذه تشبه من بعض الوجوه لوحة الظعائن في قصيدة المثقب العبدي الشهيرة (من الوافر)

افَاطِمَ قَبْلَ بَيْنَكِ مُتْعَبِّـــيْنِ وَمَنْعِكَ ما سَأَلْتُ كَأَنْ تَبَيَّنِي[4]

1 – ذو الرمة، المصدر السابق، ص280.

2 – نفس المصدر، ص280.

3 – نفس المصدر، ص 432 مهت رماح: بقر وحش ينبس لهذا الموضوع تجوف: دخل في الكنيس لتتقي الحر ربوض:شجرة عظيمة

4 – المفضل الضبي– تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون الناشر دار المعارف– القاهرة الطبعة السادسة، ص 280

ولم تكن لوحة الظعائن عند ذي الرمة،مشابهة للوحة الظعائن عند المثقب العبدي في الموضوع الشعري أيضا، و كلتا القصيدتين من بحر الوافر واللافت هنا هو المشابهة في المتابعة الدقيقة لحركة رحلة الظعائن وهي تبتعد عن الشاعر شيئا فشيئا، فيقول المثقب العبدي من الوافر

لِمَنْ ظَعُنْ تُطالِعُ مِنْ ظَبيبٍ فَما خَرَجْتُ مِنَ الْوادِي لِحِينِ

مَرَرْنَ عَلَى شِرَافِ فَذاتِ رَجُلٍ وَنَكَبْنِ الذَّرَائِحَ بِاليَتَمِينِ

وَهُنَّ كَذَلِكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلَجاً كَأَنَّ خُمُرْهُنَّ عَلَى سَفينَ [1]

و إذا كان ذو الرمة قد إختار في متابعته لموكب رحلة الظعائن و مراقبته صورة البازي، الذي يقف على مكان عال فإن المثقب العبدي من قبله قد إختار متابعة الرحلة خطوة خطوة لكنه لم يعين المكان الذي يقف فيه أثناء متابعته لها أما إمرئ القيس فقد أثرالوقوف عند سمرات الحي، أي الشعر الذي ينبت في أطراف الحمى، وهي أبعد نقطة يقف فيها المودعون لأحبابهم، وقد أراد التعبير عن حالة إنكساره النفسي لحظة الرحيل القاسية، وما يصاحبها من آلام وأحزان ودموع،فإختار لتصويرها حالة ناقف الحنظل الذي يقف عاجزا عن التحكم في سيلان دمعة من الطويل؟

كَأَنِّي غَدَاةُ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمِلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ ناقِفَ حَنْظَلِ[2]

ويقول ذي الرمة في قافية الجيم (البحر الطويل):

ذَكَّرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنا أَمْ شَادْنَ أَمامَ الْمَطايَا تَسْرِيبِ وَتَسْنِـــــحُ

1 – المفضل الضبي، المرجع السابق، ص281.

2 – ديوان إمرئ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل الابراهيمي، دار النشر دار المعارف، ط1، ص9. غداة:الضحوة البين: الفرقة تحملو:إرتحلوا السمر شجر الطلخ وهو شجر له شوك حنظل: مستخرج حب الحنظل

يقول في هذا البيت أنه لم ينسها ويقصد بين ام شاذلنا: ولد الظبية

وقوله أيضا (البحر الطويل):

هِيَ الشَّبَهُ أَعْطافاً وَحِيداً وَمَقْلَةٌ وَمِيَّةٌ أَبْهَى بُعْدَ مِنْها و أَمْلِـــــحُ[1]

يُشْبِهُ الظَّبْيَةَ بِي وَلَكِنَّهُ يُفَضِّلُ جَمالٍ مِي عَلَى جَمالِ الظَّبْيَةِ[2]

كَأَنَّ الْبُرَى والْعَاجِ عَيجَتْ مُتَونِّهُ عَلَى عَشْرِ نَهَى بِهِ السَّبِيلُ أَبْطَحَ[3]

قال ذو الرمة (البحر الطويل):

تَبَسَّمْنُ عَنْ نُورِ الْأَفَاعِي فِي الْبَرَى وَ إِقْتَرَنَّ مِنْ أَبْصارٍ مَضْرُوجَةٍ[4]

صفراء صغيرة في الوسط تحيط بها أوراق من الزهر بيضاء،يشبه الشعراء بها الأسنان الثرى: التراب الرحى الرطب وفترن جعلن أعينهى تبدو فاترة ناعشة مخروجة:واسعة الشق كحل سواد

وصف ذو الرمة ناقته:

يقول ذو الرمة (البحر الطويل):

تَرَاهَا وَقَدْ كَلَّفَتْهَا كُلَّ شَقَّةٍ لِأَيْدِي الْمَهَارِي دُونَهَا مُتَمَتِّـــــحُ[5]

1 – ذو الرمة المصدر السابق، ص11، البرى: (جمع برة) حلقة من فضة أو نحاس تجعل في أنف المرأة للزينة وفي أنف الجمل للتدليل (وهي كذلك) الخلاخيل.

2 – المصدر السابق، ص 112، عيجت: لويت العشر:شجر ناعم شبه الشاعر قصب ساقيها به الأبطح:بطن الوادي يقول: ينهي بطن الوادي (أي السيل) بالعشر غلى مكان ينبت فيه.

3 – المصدر نفسه، ص 112.

4 – المصدر نفسه، ص 413، النور: الزهر،الأفاعي: لجمع الأقحوان،نبات له زهرة كحل.

5 – المصدر نفسه، ص118.

بدرجة أنها ولو طال سفرها فإن السياق يمددن أياديهن كما لوكن جاذبات لدلومن بئر للحاف بها فلا يمكهن ذلك

يُقَلِّبُ أَشْبَاهَا كأَنَّ مُتَوِّهاً بِمُسْتَرْشِجِ الْبَهَى مِنَ الصَّخْرا صَرْدَحُ[1]

شبه ظهور الأرض بالصخور التي ينتظر ظهور بنات البهمى لها (البحر الطويل):

كَانَ مَظايانَاً بِكُلِّ مَفَازَةٍ قَرَاقِيرِ فِي صَحْرَاءِ دِجْلَةٍ تَسْبَحُ[2]

قال ذو الرمة (البحر الطويل) :

لَها أُذُنُ حَشَرٍّ وَذَفْرَى أَسِيلَةً وَخَدْ كَمْرَأَةُ الْغَرِيئَةِ اسْجُحْ

أذن جشر: محددة دقيقة وهي من علامات كرام الإبل الذفرى: عرق في قفا البعير، أسية طويلة أشجح: سهل منبسط شبه خد الناقة بمرأة الغريبة في قوم وهي إذ تخشر أن تعاب- تصلح مرآتها بجلودها و ضوئها لكثرة إستعمالها لذا فهي أبدا نقية.

ويقول ذي الرمة:

وَرَجُلٍ كَظَلَّ الذِّئْبُ الْحَقِّ سُدُوها وَظِيفَ أَمَرْتُهُ عَصاً السَّاقَ أَرْوَحَ

ورجل والها رجل: ظل الذئب شخص الذيب،السدو وهو عصا إلى أمام في السير أمرته فتنته الوظيف:عظم الساق وهو عصا الساق الأرواح الذاهب منعرجا فيه إتساع وميل شبه رجلها بظا الذئب في سرعته (البحر الطويل):

إِذَا قُلْتُ عَاجٍ أَوْ تَغَيَّتْ أَبْرَقَتْ بِمِثْلِ الْخَوافِي لَاقِحاً أَوْ تَلَقَّــحِ

1 –ذو الرمة ، المصدر السابق ،ص118، الشقة:السف البعيد المتح:جذب الدلو من البئر ويقول:أن ناقته قوية.

2 – نفس المصدر ، ص119، يقلب: يصرف أي الفحل من الحمر أشباها يريد: أتنا متشابهات مردح.

مختارات متونها: ظهورها البهمى بنات كالشعير صردح مستومن الارض .

2- الكناية:

الكناية : هي مصدركنين و كذا عن كذا إذا تركت

إصطلاحا: التصريح به[1]

الكناية: هي تعبير لا يقصد منه المعنى الحقيقي، وإنما يقصد به معنى ملازم للمعنى الحقيقي

كما قال ذو الرمة في وصف الظعائن والحادي

غواسف الرمل بستقفى تواليها مسبتشر بفراق الحي غريد[2]

الحمول تمشي بالرمل على غير هدى ويفرخ الحادي لفراق الحي لأنه مستأجر غير متعطل

فقد مزج شاعرنا في هذه الصورة بين جمالية الكناية عن صفة فواسيف الرمل أي تمشي الظعائن بالرمل على غير هدى جمالية المجاز المرسل،فإننا نلحظ أن كلمة (الحي،إستخدمت إستخداما لغير ما وصعت له،بل وضعت له ، قصد فراق أهل الحي إذا تتجلى في الكناية الروعة و الجمال من خلال المعاني المستترة والمتخفية،فتضفي على النص الأدبي قوى وعمقا فيا لخيال والتأثير فيما تحمله من إيماءات اللغة فيحسن المعنى، ويصل الشاعر غلى قصده من دون الحاجة إلى الألفاظ المباشرة الصريحة.؟

ويقول في بيت آخر يصف ناقته بقوة(البحر البسيط):

صَمَتَ الْخَلَاخِيلُ خُوذَ لَيْسَ يُعْجِبُها نَسْجَ الأَحادِيثُ بَيْنَ الْحَيِّ والصَّخْبِ[3]

1 - إبن منظور: لسان العرب، ص

2 - ديوانه ق (46) البيت (5) ج12 ص 135

3 - المصدر نفسه ص 62

صمت الخلاخيل: الخلخال خلية من فضة أو نحوها تجعلها المرأة في رجلها و (صمت الخلاخيل) قد تكون كناية عن قلة سعها خوذ جارية كريمة

3- الصورة الرمزية:

الرمزية طريقة في الأداء الأدبي تعتمد على الإيحاء بالأفكار والمشاعر و آثارها بدلا من تقريرها أو تسميتها أو وصفها[1].

لقد ذكر ذي الرمة أسما لمعشوقات في قصائده إنها رموز مرتبطة بإسم معشوقته الحقيقية التي لا يرد التصريح بذكر إسم إسمها كقوله (البحر الطويل):

أَمْنَ دِمْنَةٌ جَرَتْ بِها ذَيْلُها الصَّبَاحُ لِصَيْدَاءِ مَهْلاً مَاءِ عَيْنَيْكَ سَافَحَ[2]

وفي موضع آخر يذكر إسم (أم سال) وربما أيما هو رمز لمية فيقول[3](البحر الطويل):

وَقَفْنَا إيـــهُ عَــنَ أَمْ سَـــالِمٍ وَمَالِ تَكْلِيمِ الدِّيـــارِ الْبَلاقِـعُ

تميت بعد اليأس من أم سالم بها بعض ريعان الديار الجوامع(البحر الطويل):

فَما الْقُرْبَ يَشْفِي مِنْ هَوَى أَمْ سَالِمٍ وَمَا الْبُعْدَ مِنْهَا مِنْ دَواءٍ بِنَافِعِ

تجلت معاناة الشاعر من وراء رحيل أم سالم وقد ربط المرأة بالخصوبة فوجدها يعني خصب الديار ورحيلها يعني جدبها.

1 – د- محمد فتوح أحمد الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،1977 دار المعارف مصر ،ص 3

2 – ديوانه ق (27) البيتان(1-2) ج759/2

3 – ديوانه ق(25) الأبيات (3.10311) ج2/ 887

فالمرأة في شعر ذي الرمة كانت حقيقية ورمزا في أن واحد معا قدمت في قالب إيحائي جميل لإنها رمز العطاء: والجمال والحياة والمتنفس الوحيد الذي يعمد إليه الشاعر لإخراج ما في نفسه من ألم وقهر يبوح به في شعره فوجد في الرمز الملجأ الذي يلجأ إليه.

4- الصورة السردية: قد تجلت عبر الصورة القصصية في أحداثها وشخوصها و زمانها ومكانها وقد نعثر على عناصر قصصية رائعة ففي قصة الطلل أوقصة الظعن المتمثلة فيا لرحيل من مكان إلى آخر وقصة الشاعر مع حبيبته

وفي صورة الظعن نجد تحديدا واضحا لك ما كن التي مرت بها ظعائن الحبيبة من صورة سردية فيقول[1] (البحر الطويل):

أَقُولُ لِمَسْعُودِ بِجُرْعِـــــاءِ مالِـــكَ وَقَدَّهُمْ وَ مَعِي أَنْ تَلْـــجَ أَوَائِلَـــهُ

الا هَلْ تَرَى الْأَظْعَانِ جاوَزَتْ مُسْرَفاً مِنَ الرَّمْلِ أَوْ حَاذَتْ بِهِنَّ سَلاسِـلْـــهُ

فقال:

رَأَها بِالنَّمْيـــــطَ كَأَنَّهُـــاً نُخِيلُ الْقُرَى جَبْـــارُهُ وَأَطَاوَلْـــــهُ

تَحْمِلْنَ مِنْ خُرْوَى فَعارِضِينَ نِيـــةً سَطُوناً تَرَاخِي الْوَصْـــلَّ مُمْنٌ يُواصِلُهُ

يصور الشاعر الظعائن ضمن حوار يجريه

مع أخيه (مسعود) فيفصل في الصورة ويحدد المكان (جرعاء مالك) مسرفا من الرمل بالنميط القرى ففي هذا النص نجد بعد نقيسا معبرا عن حال الشاعر وهو يصف الظعائن حيث ظهر هذا البعد من خلال جمالية التصوير فالظعائن كأنها نخل متفاوت الطول ينمو في قرى خزوى ولهذا دلالة

1 - ديوانه (4) الأبيات (6-7-8-9) ج1245/2 1247

رمزية وربما يرمز به إلى المراة (الحبيبة) وربما يسبع أمكنة الحبيبة الراحلة بالخير والبركة بإستحضار النخيل لإنه يرمز إلى الحياة في العصر الجاهلي[1] وحين إرتحلت تلك النساء الظاعنات من خزوى ظل في ذلك المكان مشتاقا وهو أهن قاتله إن لم يدفعه الله ويصرفه عنه.

5- إيقاع الحذف والإطناب: يقول ذي الرمة[2](البحر الطويل):

مَتَى تَظعَنِي يَامِي مِنْ دَارِ جَيْـــرَةٍ لَنَا وَالْهَوَى بَرِّحْ عَلَى مَنْ يُغَالِبِهِ

لقد ذكر شاعرنا جملتين مشتملتين على معنى واحد وما ذلك إلا لغرض بلاغي هو تأكيد فكرته وحبه لمية

فالإيقاع هنا خارجي أتى من الإيقاع العروضي

6- إيقاع الخبر والإنشاء: هو تغذية البلاغي وذلك لإنه يخلق حركة متموجة ممتدة تضفي على النص حيوية.

ففي قول ذو الرمة[3](البحر البسيط):

يا دارَ مَيْـــةَ لَمْ يَتَّـــــرْكَ لَنا عَلْـما تَقَادِمُ الْعَهْدِ وَالْهُوجُ الْمُرَاوِيـــــدُ

هَلْ تُؤْنِسَانُ حَمْوَلاً بَعْدَمَا إِشْتَمَلَتْ مِنْ دُونِهِنَّ حِبَالِ الاشِيمِ الْقُـودُ

لقد طغى الأسلوب الإنشائي على الصورة متمثلا في النداء والإستفهام (يا دار مية هل تبصرام) فقد أضفى الداءعلى الإيقاع دفعا ورفع وتيرته ليرجع إلى مساره الأصلي مع الخبر (تقادم العهد و

1 – أنور أبو سويلم،مظاهر من الحضارة والمعتقد في الشعر الجاهلي ص 57

2 – ديوانه ق 2 (26) البيت (24) يغالب الهوى ج2

3 – ذو الرمة ، مصدر سابق ، ص149 ، تؤنسان : تنظران ، الحمول : الابل التي تحمل عليها النساء إشتملت وتوارت الحبال ، حبال الرمل ، الأشيم ، الموضع ، ذكره التاج ولم يحدد مكانه ، القود : وجمع الأقواد .

الهوج المراويد) ليعود مرة آخرى بعد وقفة ما بين الشطرين مع الأسلوب الإنشائي (بالنداء والإستفهام).

فالأسلوب الإنشائي يتميز بروح حوارية ترتفع معه النغمة الصوتية المعبرة عن النشاط الإنفعالي والنفسي،لإن الشاعر مهتم بتتبع أمكنة الظعائن

7- التصريع: هو توافق نهايتن الشطرين في البيت الشعري ويكون في مطلع القصيدة:

يقول ذو الرمة[1](البحر الطويل):

أَلا هَلْ تَرَى أَظْعَانَ مِنْ كأَنَّها ذَرَى أَثابَ رَاشَ الْغُصُونِ شَكِيرَهَا

التصريع كنها شكيرها

هو إحداث نغمي موسيقي التصريع تستأذن له الأذن أي نغمات موسيقية.

1 - ذو الرمة ، ديوانه ص 280

الخاتمـــة

شعر ذي الرمة مكاني بالدرجة الأولى فقد إفتتح قصائده بذكره اماكن متفرقة إحتلت مكانة مهمة لديه وقد وجدنا أن المكان الإجتماعي الطلل مثل مجموعة من القيم الإيجابية فهو المكان الذي يرتبط بالمرأة الحبيبة والمادة الفنية الخصبة خلق لخياله وهو مكان الألفة واللقاء ولكن أثر فيه الزمن- فتحول المكان الآمن غلى مكان موحش خرب فولد مشاعر الحزن و الألم لأنه فقد العيش والمأوى مع المراة التي أحب مية وهذا ما دفعه إلى أن يكون شاعرا مبدعا يتغنى بإسمها وبالأماكن التي أقامت بها ولا يقف ذي الرمة مراقبا للرحلة بل حدد دقة أمكنة الظعن التي مر بها فتغدو تضاريس المكان إنعكاسا لروحه فيختار المكان الآمن المطمئن في الوسط حيث يستنقع فيه ماء البوادي.

فالمكان لدى ذي الرمة في حديث الغزل به جاذبيته التي تساعده على الإستقرار.

فمزج الشاعر صفات المرأة بالمكان وبدا الزمن العذري مرتبطا أساسيا بالشعور الباطني وهو زمن التجربة الداخلية للشاعر بعيدا عن الزمن الفيزيائي وقدم الشوق على أساس الفقد و الحرمان.

فإزداد معه ذكر المعشوق وكأن حضور المكان أقوى غياب صاحبته وحين لم يستطع الوصول إلى المرأة التي أراها خرج إلى الصحراء المكان الطبيعي الذي إختاره بديلا من المكان الإجتماعي الذي قيده فشعر بإغتراب شديد لأنه فشل في التوصل إلى المرأة التي أحبها فخرج إلى المكان يشعر فيه بالحرية والإنطلاق لذلك يدخل المكان الطبيعي في علاقة تضاد مع المكان الإجتماعي وهو مكان نفسي لا جغرافي وثمة صدق متنفسه الحقيقي.

قائمـــة المصادر

والمراجع

أولا: المصادر

1) القرآن الكريم

2) أبو الفرج الأصفهاني الأغاني 1970 الناشران صلاح يوسف الخليل دار الفكر للجميع- طبعة بولاق الأصلية بيروت الجزء 2.

3) أبو العباس شمس الدين بن خلكان وفيات الأعيان و أبناء وأنباء الزمان 1941 حققه وعلق حواشيه وضع فهارسه .

4) ديوان شعر ذي الرمة- راجعه وقدم له و أتم شروحه وتعليقاته زهير فتح الله- دار صادر بيروت لبنان جميع الحقوق محفوظة 2004

5) لسان العرب لإبن منظور، دكتور خالد رشيد القاضي الطبعة الأولى 2008

ثانيا: المراجع

1) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة- الشعراء والشعراء د ت حققه وضبط نصه ووضع حواشيه- دكتور قميحة والأستاذ محمد أمين الضناوي- دار الكتب العلمية بيروت 2

2) أدب الرحلة في التراث العربي- فؤاد قنديل مكتبة الدار العربية للكتاب- الحي السابع مدينة- نصر القاهرة الطبعة الأولى

3) إسماعيل إبن كثير القرش قصص الأنبياء أحمد إبراهيم زهوة دار الكتاب بيرت لبنان 2006

4) انور ابو سويلم، مظاهر من الحضارة و المعتقد في الشعر الجاهلي، 1991، دار عمان.

5) الجمحي محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، د-ت، السفر الثاني

6) حسين عطوان- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي الجزء 11 دار المعارف بمصر

7) حسين محمود حسين أدب الرحلة عن العرب دار الأندلس للطباعة و النشر والتوزيع بيروت لبنان الطبعة 2

8)ذي الرمة شاعر الحب والصحراء- الدكتور يوسف خليف الناشر مكتبة غريب بدون طبعه

9) رومية، د وهب، قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول و الإحياء و التجديد، 1971، منشورات وزارة الثقافة و الارشاد القومي، دمشق.

10) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية و الإسلام، 1959، مطبعة جامعة دمشق.

11) شوقي ضيف، التطور و التجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، ط7.

12) عبد الرحمان المودن- عبد الرحيم بنجادة السفر في العالم العربي الإسلامي- سلسلة ندوات ومناظرات- منشورات كلية الداب و العلوم الإنسانية بالرباط مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الاولى 2003

13) عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي،1979، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت

14) عبد الله بن قريب الأصمعي مخولة الشعر تح تشارلز تةري دار الكتب

15) في ظلال القرآن- سيد قطب الناشر دار شروق 2013 الطبعة 4

16) قصيدة المدح حتى نهاية العصر الأموي بين الأصول والتجديد ج1 1961 منشورات وزارة الثقافة والأرشاد

17) كتاب أبو حامد محمد بن محمد الغزالي إحياء علوم الدين الجزء 2 الكتاب أداب السفر مكتبة الدعوة الإسلامية القاهرة

18) محمد محي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية، القاهرة الطبعة 1 الجزء3

19) ناصر عبد الرزاق المواقي- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع دار النشر للجامعات ط2

20) نضال الأميوين دكاش- ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم،2006 دار الحداثة لبنان- الطبعة 1

ثالثا: المجلات

المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الأول، المجلة العلمية، العدد الخامس، يونيو2016.

الفهرس

المحتوى	الصفحة
إهداء	
تشكر	
مقدمــة	أ
مدخل	
1- ماهية الرحلة	**05**
أ- تعريف الرحلة لغة	**05**
ب- تعريف الرحلة اصطلاحا	**06**
2- جذور الرحلة:	**07**
أ- جذور الرحلة في التراث العربي	**08**
ب- الرحلة في العصر الجاهلي	**10**
الفصل الأول: رحلة الظعائن في شعر ذي الرمة	
1- تعريف الظعينة	**14**
2- حياة ذي الرمة	**16**
3- قصته مع مية	**17**
4- قصته مع خرقاء	**19**
5- الأطلال و مناظر الرحيل	**20**
6- الإبل ومناظر الرحيل	**23**
7- المكان في شعر ذي الرمة	**29**
8- رحلة الظعائن	**29**
الفصل الثاني: فنية الرحلة في شعر ذي الرمة	
1- التشبيه عند ذي الرمة	**35**
2- الكناية	**45**
3- الصورة الرمزية	**46**

4- الصورة السردية	**47**
5- إيقاف الحذف والإطناب	**48**
6- إيقاع الخبر والإنشاء	**49**
7- التصريع	**49**
خاتمة	**51**
قائمة المصادر والمراجع	**53**

بالعربية:

ذو الرمة هو أحد فحول شعراء العصر الأموي وهو شاعر بدوي عميق الإحساس بالطبيعة شديد الحب للصحراء وإرتبطت حياته منذ فترة مبكرة بقصة غرام ملأت عليه أرجاء حياته فعندما يكون في الصحراء و هو راكب على ناقته فينزل إلى مكان فيتخبيل محبوبته وهي راكبة في هودجها فيرسم لنا صورة فنية كأننا نعيش الحدث ونقول أن شعره في الصحراء ليس إلا عز لا يصدر فيه حبه لها و فتننته بها– شاعر الحب والحب.

In English:

Zul Rama is one of the poets of the Umayyad era, a Bedouin poet deep sense of nature, very love for the desert and his life was associated with an early story of a gram filled the whole of his life when he is in the desert and a passenger on his elegance and go to a place Vtbibl his beloved riding in Hodgha paints a picture of art As if we live the event and say that his hair in the desert is nothing but a passion in which he does not love her and fascinated him - a poet of love and love.

En Français

Zul Rama est l'un des poètes de l'époque omeyyade, un poète bédouin sens profond de la nature, très amoureux du désert et sa vie a été associée à une histoire de gram toute sa vie quand il est dans le désert et se rend à un endroit Vtbibl son manège à Hodgha peint une image de l'art Comme si nous vivions l'événement et disions que ses cheveux dans le désert ne sont rien d'autre qu'une passion dans laquelle il ne l'aime pas et le fascine - un poète de l'amour et de l'amour.